

أصدرته منظمة اليونسكو عام 1996

عدد 98 - الأربعاء 4 تشرين الأول (أوكتوبر) 2006

بدوي الجبل

مختارات شعرية

مرثيات لكنوز السراب

رسوم سلوى شقير





الشريك الثقافي



المؤسسة الراعية

الذكرى العاشرة لإنطلاقة «كتاب في جريدة»
الذكرى الستون لتأسيس «اليونسكو»

في إطار احتفالات الذكرى الستين لتأسيس اليونسكو، والذكرى العاشرة لانطلاقة «كتاب في جريدة»، وبدعوة من النائب غسان تويني رئيس تحرير صحيفة النهار اللبنانية، أقيم في جريدة النهار احتفالٌ بحضور السيد كويشيرو ماتسورا مدير عام منظمة اليونسكو، والسيد طارق متري وزير الثقافة اللبناني، والسيد مروان حمادة وزير الاتصالات والآنسة نايلة جبران تويني، والدكتور أحمد الصياد نائب مدير عام اليونسكو للشؤون الخارجية والتعاون والدكتور عبد المنعم عثمان مدير مكتب اليونسكو الاقليمي في بيروت وعدد من الشخصيات الثقافية والإعلامية والتربوية.

ولأسباب خارجة عن إرادته، لم يتمكن من الحضور معالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر، المبعوث الخاص للمدير العام لليونسكو للتربية والديمقراطية والتسامح، راعي «كتاب في جريدة». وقد مثله في هذه المناسبة الشاعر شوقي عبدالأمير.

فيما يلي نص كلمة كل من المدير العام ومعالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر.

كلمة السيد كويشيرو ماتسورا:



السيد الوزير،

السيد المدير،

أصحاب السعادة،

السيدات والسادة،

إن التظاهرة التي تجمعنا هذا اليوم في مقر صحيفة «النهار» بمناسبة الذكرى الستين لإنشاء اليونسكو هي بالنسبة لي مصدرُ إرتياح كبير وعلى أكثرَ من صعيد.
أوّلاً أنها تقام في بيروت لتشّهد بالطبيعة التي أردت أن أعطيها لإحياء هذه الذكرى: أي أن يُحتفى بها خارج مقر اليونسكو وحتى خارج مواقع اليونسكو بالمعنى العريض للكلمة.
ولهذا أودّ أن أشكركم أيها السيد مدير صحيفة النهار لسماحكم بالقيام بهذه الذكرى في هذا الإطار.
إن مصدر ارتياحي الثاني هو أن هذا الاحتفال يقام حول كتاب. كيف يمكن في بلاد بيبلوس أن لا نشير إلى القيمة الجوهريّة للكتابة في العلاقات بين البشر ومن أجل بناء السلام؟ إن الكتاب الذي نحتفي به اليوم يجمع التأريخ الثقافي لليونسكو أي أنه يقع في قلب وجودنا وهو ما أطلقت عليه إسم "الشعلة الخفيّة".
يضم هذا الكتاب الذي طلبت من الفيلسوف روجيه بول دروا تحضيرَه مُنتخبات واسعةً من نُصوص واستشهادات من أرشيف اليونسكو تؤكد إستمراريةَ استلهامِ مُنظمتناَ منذ تأسيسها وتعددية المشاكل التي واجهتها.
يتوجب علينا اليومَ أن نُحدد أين تقع الرهاناتُ وما هي التحدّيات. وعلينا، في خضم المهمة التي تقع على عاتقنا، أن نحدد الاسبقيات والميادين ذات الطابع الاستراتيجي.
بعد الانتهاء مباشرة من الحرب، شكلت المعركةُ الصارمةُ من أجل إجتثاث العنصرية محوراً كبيراً سمح لليونسكو بالمساهمة بشكل حاسم بالقيام بتحول جذري للأخلاقيات. تلى ذلك التخطيط للنظم التربوية لتفرض نفسها كرهان جوهري بحيث احتلت اليونسكو موقع الصدارة في هذا الميدان. كما أن بُروزَ مفهوم التراث المشترك للانسانية كرد فعل للمخاطر التي كانت تتهدد في سنوات السبعين معابد النوبة قد شكلت مساهمة أساسيّة لليونسكو من أجل رؤية جديدة للعالم بحيث أصبحَ قَرنُنا يُدركُ إلى أي مدى صارت هذه الرؤية حيوية من أجل مستقبل الإنسانية.
وأنا شخصياً إقترحت أن يكون التعليم للجميع والمياه وأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا والتنوع الثقافي وبناء مجتمعات المعرفة القائمة على حرية إنتقال الأفكار، من أولى أسبقيات اليونسكو لعصرنا هذا وقد أقرّ المؤتمر العام هذا الاختيار.
إن النظرُ من بعيد إلى هذا الكتاب يُظهر أن اليونسكو قد نهجت على الدوام نوعيًن من المبادرات: الاستباقُ من جهة والأمانة للاستلهام الأساسي الثابت في رسالة اليونسكو والذي يهدف إلى «رفع حصون السلام في عقول البشر» من جهة أخرى.
هذه المبادئ تمنحني في الواقع السبب الثالث لإحساسي بالسعادة الكبيرة في هذا الاحتفال الذي يجمعنا حيث أنه يجري في مقر صحيفة يوميّة كبرى.
في الواقع إن أوّل المبادئ التي أقرها الميثاق التأسيسي هي «حريّة إنتقال الأفكار بالنص والصورة». وهو يشكل منطلقاً لكل المبادئ الأخرى وفي نفس الوقت التعبير الأسمى عن «المثال الديمقراطي للكرامة والمساواة وإحترام الكائن البشري».

إن حرية وتعددية الصحافة هما الشرطان الضروريان لممارسة حق الكرامة الذي يُؤمِّنُ لكل شخص "حريّةُ البحث عن الحقيقة"، الأمر الذي يفترضُ توفرَ التعدديًة والمستوىَ الرفيع لمصادر المعلومات.
أودُّ في هذا الإطار أن أحيي وبكُلِّ حماس الصحفيين اللبنانيين اللذين قدّما حياتيهما وهما يمارسان عملهما الصحفي؛ سمير قصير وجبران تويني. لقد كانا كلاهما مناضلين شديدي المراس من أجل حرية التعبير والتفكير التي كم هي ضرورية من أجل تقدم الإنسانية. إعلموا أنني أشارك بكل مشاعري في الحداد الذي تكابدُه صحيفة "النهار" التي تعرضت مرّتين خلال شهور لضربة قاسية ومن خلالها لبنان بأكمله.
وأهنّئ نفسي بأن جائزة «اليونسكو غويرمو كانو» لحرية التعبير قد منحت هذه السنة إلى مواطنة لبنانية كبيرة؛ وهي الصحفيّة مي شدياق التي تعرّضت هي الأخرى لمحاولة إغتيال. سأمنحها رسمياًّ بعد بضعة أيام في سيريلانكا هذه الجائزة، ليتمكن هذا الامتياز الدولي من أن يحمل، باسم كل ضحايا الجرائم البشعة، شعلة الحرية الأساسية والحيوية لمستقبل الإنسانية.
السيد الوزير، السيد المدير
بعد إختيار منتخبات من هذا الكتاب «الانسانية في طور البناء» ونشرها في «كتاب في جريدة» وهو المشروع الذي قدّمت له اليونسكو دعمها منذ انطلاقته فإن الـ91 صحيفة المشاركة في برنامج عمله تكون قد نشرت صدى اليونسكو بين الملايين من القراء لتسهم عبر ذلك بأن تضع بين أيدي كل المواطنين والقراء ما نريد أن نقدّمه في الذكرى الستين ولهذا فأنا أشكرهم من كل قلبي.
واليوم فإن نشر الكتاب بكامله في اللغة العربية هو ما يمكن أن يحدث بفضل مبادرتكم أيّها السيد المدير إنطلاقاً من الترجمة التي تمّت تحت رعاية اليونسكو وبمبادرة منها. لقد كنت آمل بحرارة أن ينتقل هذا الكتاب الغني بالأفكار وبالمعلومات إلى أيدي قراء اللغة العربية كما هو الحال في اللغة الفرنسية والانكليزية. وهذا ما سيكون أمراً منجزاً خلال أشهر بفضل دعم مؤسسة "النهار" بالتنسيق مع مكتبنا في بيروت. إنني سعيد جداً وأشكر السيد شوقي عبدالأمير المندوب الدائم المساعد للعراق لدى اليونسكو الذي لم يدّخر جهداً لانجاز هذا المشروع بكامله والذي كانت فكرته منذ البداية.
يُعلّمنا هذا الكتاب أن الانسانية بجوهرها ما زالت في طور البناء وهي ليست منجزةً ولا متحققةً قط. ولذا فإن من واجبنا العمل من أجل ذلك باستمرار وأنه لشرف لليونسكو أن تشجع وتبعث الأمل في هذه المهمة.

أشكركم

كلمة الشيخ محمد بن عيسى الجابر

المبعوث الخاص للمدير العام لليونسكو للتربية والتسامح والديمقراطية
راعي «كتاب في جريدة»:

السيّد مدير عام اليونسكو

السيد وزير الثقافة

السيد رئيس التحرير

إنّها مناسبةٌ تجمع عدَّة مُناسبات وكُلُّها مُحمّلةٌ بالرموز والدلالات الكبيرةْ،
فهي زيارةُ السيد كَويشيرو ماتسًورا مُدير عام منظمةَ اليونسكوَ إلى بيروتَ عاصمة الثقافة العربيّة الدائمة،
وهي الذكرى الستُّون لتأسيس اليونسكوَ الحضَن الدوَليِّ الأرحب لبناء الإنسان والسَلامْ
وهي الذكرى العاشرةُ لإنطلاقة «كتاب في جريدة»، أكبرَ مشروع ثقافيٍّ عربي مُشترك من بيروتَ المكافحة دائماً من أجل مُجتمع مُتحرّر تعدّدي وديمقراطي تتَعَايشُ فيه كلُ أشكال الطيف الحضاريِّ البشريِّ عرقيًّا ودينيًّا، تَحتَ سَقَف صحيفة «النَهار»، التي احتفلتْ هي الأخرى بالذكرى السبعين لتأسيسَها قبلَ أعوام، منبر الكلمة الحرّة التي قدَّمتْ من أجلهَ قبل بضَعة شهور شهيدين من أبنائها (جبران تويني وسمير قصير) الذين أفاضوا دماءَهم حبراً وكلمَات أكثرَ إشعاعاً وخُلوَداً،
وها هي مَنظمةُ اليونسكو مُمثلةٌ بالسيد المدير العام تقدّم جائزة حرية الصحافة العالمية لهذا العام 2006 للصحفية التلفزيونية اللبنانية التي تُعرف اليوم بـ «الشهيدة الحيّة مي شدياق» لتُؤكّدَ كما في كُلِّ مرّة وقوفَها دائماً وأبداً في صَفِّ أحرار العالم من أجل بناء إنسانية أفضلَ سعياً وراءَ المبادئ السامية التي تحملُها اليونسكو، واستكمالاً للمسيرة الإنسانية الطويلة من أجل تربيَة جيَل قائمٍ على المعرفة والديمقراطية والتسامَح...
إن إجتمَاعاً كهذاَ لا يمكّن إلاَّ أن يكُونَ شُعلةً مُكتنزةً بالنور والعطاء والأمل...
وبهذه المناسبة فإنني أودُّ أن أُعبّرَ لكم عن سعادتي البالغَة بالسيرَ يداً بيد مع منظمة اليونسكو لدعم كُلِّ مشاريعها التنورية والإنسانية في مُجتمعنا العربي من مُحيطه إلى خَليجه وأنْ أضَعَ نفسَي في خدمة المُثلَ الانسانية العُلياَ التي من أجلَها شُيّدتَ منظمةُ اليونسكو لأننَي أُؤمنُ بأن لهذه المَنظمة دوراً كبيراً بين ظَهرانينا وأننا اليومَ فَي كُلّ الدوَل العربيةِ بحاجةٍ إلىَ حُضورها ومشاركَتها في جَميع ميادين إختصاصَها...
ومن أجلَ هذا سبقَ لي أنْ وَقّعتُ برُوتوكولاً طموحاً مع السيد كويشيرو ماتسورا في 2002 من أجل تَطوير، تحديث وإصلاح النظام التَعليميِّ في الشرق الأوسط والذي بدأ فعلاً تنفيذَهُ بما يَسمحُ للنهوض بمشاريعَ تَنموية كُبرَى وتشَجيع ثقافَة السلامَ وبناء الَديمقراطية بالإضافَة إلى التبنّي الكُلّي لمشروعِ اليونسكو الرائدَ والذي كَان يمرُّ بفترةٍ عًصيبةٍ «كتاب فَي جريدَة» وهوَ اليومَ يُدركُ سنَتهُ العاشرةَ تَحتَ رعايتنا ودعمنا.
إنّ «كتاب في جريدة» هو الخيمةُ العربيَّةُ الكُبرى التي تَجمعُ القارئَ العربي في كُل مكان وقد أصبحَ اليوم بعدَ عشرة سنوات من تأسيسه صَرحاً ثقافياً في حاضرتنا العربيّة وجسراً لا بُدّ منهُ بين مبدعي الكلمة وقُرّائهَا، من أجل نشرِ المعرفة وبناءَ الإنسانَ العربي في عَصر حوار الحضارات والعَولمة.
وأودُّ في الختام أن أقَولَ مع السيَد المدير العام في كلمته بمناسبة الذكرى الستين لليونسكو:
«إنّ علينا أن نُركّزَ إهتمامَنا على الإلهام الأخلاقي لليونسَكو والحوار والتعاون وإرساء المعايير وتَناسُق تطورها وسُبل رقيِّها... من أجل إعادة استكشاف الشُعلة الخفيَة لليونسكو» فالإنسانية حقَاً – كما هَو عنوانَ كتابنا – هي دائمَاً في طَور البناءَ وأن دورَ اليونسكو هوَ المشاركةُ فَي هذه المهمةِ الهائلةِ وإنه لَيشُرّفني أن أُقدِّمَ مُساهمتي المتواضعةَ في دعمِ مَسيرتهاَ النبيلَة هذه.



مختارات شعرية

مرثيات لكنوز السراب

بدوي الجبل

محمد مظلوم



وُلِدَ بدوي الجبل واسمه الحقيقي محمد سليمان الأحمد سنة 1905 في قرية ديفة على الساحل السوري في أسرة علمية.

دخل المدارس الحكومية في اللاذقية ودمشق، وتقطّعت دراسته، لاشتراكه في الحركات المناوئة للاحتلال الفرنسي.

اتصل بالشيخ صالح العلي في جبال اللاذقية، وبيوسف العظمة وزير الدفاع في الحكومة الفيصلية، بعد دخول الفرنسيين إلى سوريا.

تنقل في سجون حمص وبيروت وقلعة أرواد. وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً، قضى ثلاثاً منها في السجن.

انتسب إلى الكتلة الوطنية وأصبح سنة 1930 نائباً في البرلمان.

كان من مؤسسي الحزب الوطني الذي خلَف الكتلة الوطنية، ومثّل الحزبَ في الوزارة مرتين، ومرة ثالثة بصفته مستقلاً.

أرسلَ في 1920 أول قصيدة إلى جريدة «ألف باء» الدمشقية لصاحبها الأستاذ يوسف العيسى الذي نشرها فكانت أول قصيدة ينشرها لمحمد سليمان الأحمد مذيلة باسم «بدوي الجبل».

بدأ حياته السياسية في صفوف الحركة الوطنية السورية المقاومة للاستعمار الفرنسي.

سُجن مرات عدة من قبل سلطات الاستعمار الفرنسي.

لجأ هرباً مِن مطاردة الفرنسيين له إلى العراق حيث كان من مؤيدي حركة رشيد عالي الكيلاني ضد البريطانيين.

عاد إلى سورية بعد سقوط باريس بيد الألمان في الحرب العالمية الثانية.

انتخب بعد الاستقلال في مجلس النواب من جديد.

عمل في الحزب الوطني.

طارده الانقلاب العسكري الأول عام 1949 ففرَّ إلى لبنان ثم لاحقه انقلاب عسكري ثان ففرَّ ثانية.

سنَة 1955 فرّ من سورية من جديد، وبقي سبع سنوات مشرّداً في لبنان وتركية وأوربا.

تعرّض لاعتداء جسدي عام 1968 اثر نشره قصيدة «من وحي الهزيمة» بعد هزيمة 1967.

توفي عام 1981.

يشكل إلى جانب عمر أبي ريشة ونديم محمد المثلث الذهبي المغلق للشعر الكلاسيكي في سوريا خلال القرن العشرين.

بيد أن تجربة بدوي الجبل تنطوي على ركيزتين أساسيتين ستكوّنان في الواقع عمادَ شعره وتميزانه عن قرينيه.. الأولى هي المرجعية العرفانية المكتظة بالمزوّقات الشعورية والبيانية المضيئة، والثانية سيرة حياتية عميقة ولافتة ما بين سجن ومنفى وهجرة، وسنوات ملتهبة بفعل الانقذاف في معمان الأحداث السياسية الخطيرة التي عاصرها منذ عهد الاستعمار والحربين العالميتين الأولى والثانية، مروراً بعصور الصراعات وتشكّل الزعامات تحت رايات الثورات وحركات التحرر على طريق الاستقلال، وصولاً إلى عهد الدولة المضطربة وهزيمة حزيران، حتى حرب تشرين.

وفنياً تتميز قصيدته بشفافية الصورة الشعرية وتدفقها، وصفاء التركيب وعمق المحتوى الذي تنطوي عليه العبارة إضافة إلى حدتها ، أما في بنائها فهي ذات بناء مُرْسَل تبدأ من البيت وتستمر في المقطع لتشكل في مجملها مناخاً تتداخل فيها سماوات العرفان الصوفي بانسيابية الإيقاع وطراوة اللفظ حتى وهو في ذروة جزَالته، وهو شاعر مغرم بالأناقة في الخلق، وفي تدبير الجمال، وكذلك في غضبه على الطغاة.

لكن ما يؤشر في قصائده، التي تعتمد في الغالب منها المعمار الهرمي الواضح، أنها تنطوي في الوقت عينه على مساحات من التكرار ومن المحمول البياني المستعاد في ثنايا هذا المعمار.

ويمكن تلمس جرأة خاصة في شعر بدوي الجبل، جرأة قد تبدو اليوم نوعاً من التجرؤ، لكنها جرأة مبنية بفعل الإشعاع القوي لليقين، لا بالضعف الذي ينطوي عليه الشك.. وهو ما يشدد على ترسيخه بمشهدية المحبة حد الذوبان بين الله والإنسان. في مستوى لغته الشعرية، كما في طبيعة مخيلته، ملمَحٌ بيِّنٌ لتأثير الشعر الصوفي ذي الطبيعة العرفانية التي تختزل الصورة وتكثفها حدَّ الفيض، وتحديداً لدى الحسن بن مكزون السنجاري. وفي مجمل شعره، على الأخص ما يلي البواكير، لا يمكن تحديد حدود واضحة بين الأمكنة مثلما لا يمكن رصد مثل تلك الحدود بين التاريخي والطبيعي : قصيدته قارّةٌ بين البحر والصحراء، المنحدرات والجبال، وهي جامعة للوقائع من خيول عصر الرسالة الإسلامية إلى سفن الغزو الفرنسي.

ويمكن تَبيُّنُ هذا المناخ القاري في الطبيعة الفنية لشعره على العموم، إذا نلمح فيه خيطاً متصلاً بين شعر شوقي وتجارب جماعة أبولو، بين الزهاوي والرصافي، بين أشعار البيئة الشامية وتوليدات شعراء المهجر، وأبعد من ذلك يمكن القول أن شعر بدوي الجبل حصيلة لنزهات طويلة في أخبار الزمن المتباعد وأشعار العصور المتصلة حيث تتلاقى في مطولاته أنفاس الشعراء العباسيين وتحديداً ممن يوصفون بشعراء البديع، مع نفحة أندلسية تتجسد في طراوة المفردة وسلاسة الإيقاع واستواء الجملة.

بدوي الجبل، بهذا المعنى، قد لا يبدو مبتدعاً لطريقة أو مغايراً لتقاليد راسخة، لكنه بالمقابل ليس قيمة تراكمية عابرة في هذا التراث وإنما تجربة تفاعلية ومختبر لانتقاء طرق ولقاح تجارب.

أما في شعر القضايا «الكبرى» وهو الذي عاصر إرهاصاتها وأسهم في صياغتها، فلا يبدو فيه شعر معاصر كشعر بدوي الجبل قريباً من اللحظة ملتصقاً بها وإن بدت متصلة بزمنها المنصرم.

قصائده في مغتربه الأوربي مشحونة بطاقة تعبيرية أخاذة ذات صورة ولوعة وحرقة، فيما تمتاز قصائده في المنافي العربية ببغداد وبيروت بشحنة موارة من الاحتجاج والغضب وهو رثّاء الكنوز المنهوبة بامتياز، كنوز الأحلام والعمر والمودات المتسربة بينهما.

وإذا كان شعر بدوي الجبل يحمل من البنى المضمونية الكلاسيكية الموروثة إرثاً كبيراً، فإن تلك الموروثات تتقحت بتعبيرات مستحدثة وتفاصيل نوعية داخلية، جسدتها محَن تَشَكل المجتمع العربي بانتقالاته عبر المراحل والتحولات مما منح الشاعر مادّة حَية ثريّة، فكان صوتاً صريحاً في ديوان الشعر العربي.

× اعتمدت هذه المختارات التي جاءت تحت عنوان مرثيات لكنوز السراب، من ديوانه المنشور عام 1978 عن دار العودة.

سلوى روضة شقير

سلوى روضة شقير، فنانة لبنانية من مواليد بيروت عام 1916، تُعتبر من رواد الفن التجريدي في العالم العربي.

عُرفت بمواقفها المبنية على قناعة مطلقة بالأسس الحسابية للفن الاسلامي، ورفضت منذ البداية نقل الواقع مستغنية عن كل مرجعية أيقونية أو رمزية.

اشتهرت بمنحوتاتها المركبة من قطع عدة تتفكك أو تتركب حتى اللانهاية، مثلما تتفكك أو تتركب أبيات القصيدة العربية، كما دافعت طوال حياتها عن خصوصية فن عمادهُ الشكل كما الشعر عماده الكلمة.

الطريق بالنسبة إليها هي التجربة الصوفية والشكل النهائي كما فهمته الفنانة ذات الولع العلمي، وهو شكل تجريدي لا يوصف بالخطوط والمساحات والالوان، بل إنه مجموعة المعادلات القائمة بين العمل و محيطه.

بقيت أفكار سلوى روضة شقير، لفترة طويلة من الزمن غير مفهومة سوى لحلقات صغيرة من متذوقيها، إبتدأت بمحترف الفن التجريدي في باريس ثم أخذت تتسع لتشمل محبي الفن من جميع الاجيال والجنسيات.

الراعي
محمد بن عيسى الجابر
MBI FOUNDATION

المؤسس
شوقي عبد الأمير

المدير التنفيذي
ندى دلّال دوغان

الإستشارات الفنية
صالح بركات
غاليري أجيال، بيروت.

المَقرّ
بيروت، لبنان
يصدر بالتعاون
مع وزارة الثقافة

تصميم و إخراج
Mind the gap, Beirut

المحرّر الأدبي
محمد مظلوم

سكرتاريا وطباعة
هناء عيد

المطبعة
پول ناسيميان،
پوميغرافور برج حمود بيروت

الإستشارات القانونية
«القوتلي ومشاركوه- محامون»

الإستشارات المالية
ميرنا نعمي

المتابعة والتنسيق
محمد قشمر

الهيئة الاستشارية
أدونيس
أحمد الصيّاد
أحمد بن عثمان التويجري
جابر عصفور
جودت فخر الدين
سيد ياسين
عبد الله الغذامي
عبد الله يتيم
عبد العزيز المقالح
عبد الغفار حسين
عبد الوهاب بو حديبة
فريال غزول
محمد ربيع
مهدي الحافظ
ناصر الظاهري
ناصر العثمان
نهاد ابراهيم باشا
هشام نشّابة
يمنى العيد

الصحف الشريكة
الأهرام القاهرة
الأيام رام الله
الأيام المنامة
تشرين دمشق
الثورة صنعاء
الحوار نواكشوط
الخليج الإمارات
الدستور عمّان
الرأي عمّان
الراية الدوحة
الرياض الرياض
الشعب الجزائر
الصحافة الخرطوم
العرب طرابلس الغرب وتونس
مجلة العربي الكويت
القدس العربي لندن
النهار بيروت
الوطن مسقط

خضع ترتيب أسماء
الهيئة الإستشارية
والصحف للتسلسل الألفبائي
حسب الاسم الأول



سلمى حفار الكزبري

عن عمر يناهز الثالثة والثمانين غادرتنا الأديبة العربية المعروفة سلمى حفار الكزبري عضو الهيئة الاستشارية لـ «كتاب في جريدة». تركت الراحلة العديد من المؤلفات الأدبية والترجمات أهمها دراستها عن الأديبة مي زيادة، «نساء متفوّقات»، «الغريبة»، «في ظلال الأندلس»، «الشعلة الزرقاء»، «جورج صاند: حب ونبوغ»، «حزن الأشجار» و«الحب بعد الخمسين» ... بالإضافة إلى ثلاث مجموعات شعرية باللغة الفرنسية.

حازت على عدة جوائز أهمها وسام «شريط السيّدة» – إسبانيا 1965, وجائزة البحر الأبيض المتوسط الأدبية – صقلية 1980, وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي 1995.

تنعي مؤسسة MBI Foundation محمد بن عيسى الجابر وعائلة «كتاب في جريدة» الفقيدة التي كان لها دور متميز في الانطلاقة الجديدة لمسيرتنا طيلة السنوات الأخيرة من حياتها الثقافية الزاخرة.

ها هي سلمى حفار الكزبري تلتحق بمي زيادة رفيقتها الفكرية مشكّلة بدورها إحدى العلامات الفارقة في حضور المرأة العربية إبداعياً وثقافياً.

شوقي عبدالأمير

عن الهيئة الاستشارية والهيئة العامة لـ «كتاب في جريدة».

كتاب في جريدة
عدد رقم 98
(4 تشرين الأول 2006)
ص.ب 1460-11. بيروت، لبنان
تلفون/ فاكس 835 868 (1-961+)
تلفون 219 330 (3-961+)
kitabfj@cyberia.net.lb
kitabfijarida@hotmail.com



مختارات شعرية

مرثيات لكنوز السراب

بدوي الجبل



ميراث الشاعر

من قصيدة «الشاعر و البؤس»

خُلِقَ الشَّاعِرُ وَالبَؤْسُ مَعَاً   فَهُمَاْ خِلاَّنِ لِمْ يَفْتَرِقَا

أَنَاْ فِيْ الْكَوْنِ شَقِيٌّ حَائِرُ   لاْ أَرَى نُوْراً وَلاْ أَهُدَى سَبِيْلا
أَنَا طَيْرٌ لِمْ يُغَرِّدْ فَاسْمَعُوا   بِالدُّجَى مِنْهُ نُوَاْحَاً وَعَوِيْلا

قَدْ سَرَىْ فِيْ الْكَوْنِ حَتَّىْ لَمْ يَدَع   فِيْ قُلُوْبِ النَّاْس قَلْبَاً مُغْلَقَا
هُوَ حُزْنٌ هَاْدِئٌ فِيْ غِبْطَةٍ   وَهْوَ لَوْ ذُقْتِ نَعِيْمٌ فِيْ شَقَا

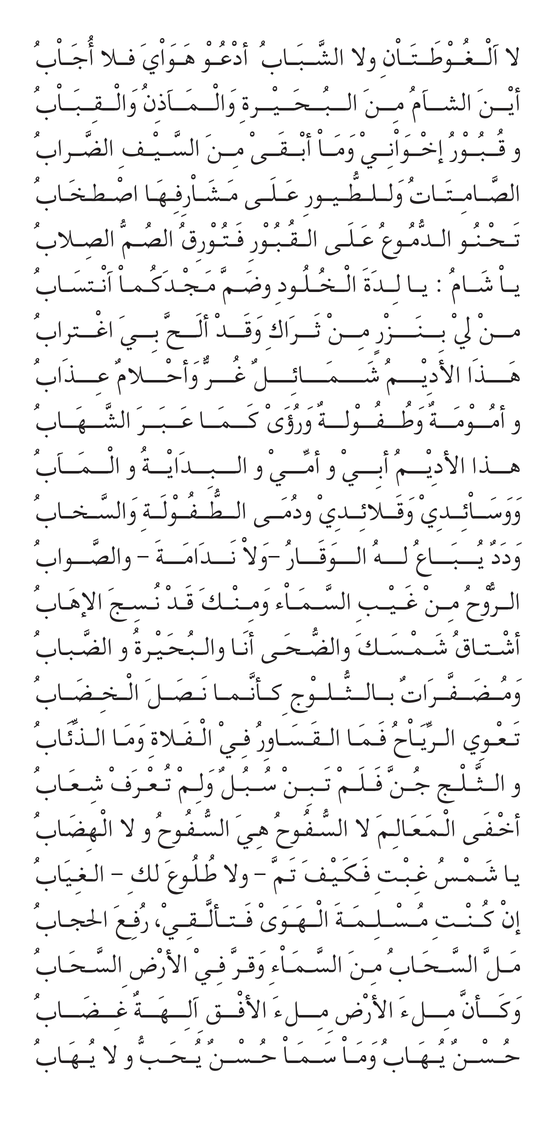
إنّ فِيْ نَهْدَيْك طِيْبَاً عَبِقَا   أَنْشِقِيْ الشَّاْعِرَ هَذَا العَبَقَا
و اذْكُرِيْ الشَّاْعِرَ وَالْبُؤْسَ مَعَا   فَهُمَاْ خِلاَّنِ لَمْ يَفْتَرِقَا

كنوز الغريب
من قصيدة «فرعون»

أَنَا سَاْحِرُ لَمَسَ الْغُصُوْنَ وَضَمَّهَا فَهِيَ الْقُدُوْدُ
عِنْدِيْ الْكُنُوْز فَكَيْفَ تَسْأَلُنِيْ النُّجُوْمُ وَلاْ أَجُوْدُ
أُعْطِيْ وَتَسْأَلُ - لاْ نَمَلُّ - فَتَسْتَزِيْدُ وَأَسْتَزِيْدُ
شُهُبُ السَّمَاْءُ تَفَرَّقَتْ فِيْ الأُفْق تَنْقُصُ أَوّ تَزِيْدُ
كُتُبَ الضِّيَاْءُ لِبَعْضِهَا وَلِبَعْضِهَا كُتِبَ الْهُمُوْدُ
وَالْعَبْقَرِيَّةُ كَالْضُّحَى مِنْ بَعْض نِعْمَتِه الْوُجُوْدُ
وَأَنَا الْغَرِيْبُ بِمَوْطِنِيْ وَأَنَا الْمُشَرَّدُ وَالطَّرِيْدُ

شريد مع الربيع

من قصيدة «ابتهالات»



لا اَلْغُوْطَتَاْنِ ولا الشَّبَابُ أدْعُوْ هَوَايَ فلا أُجَاْبُ
أيْنَ الشاَمُ مِنَ البُحَيْرةِ وَالْمَآذنُ وَالْقِبَاْبُ
و قُبُوْرُ إخْوَاْنِي وَمَاْ أبْقَىْ مِنَ السَّيْفِ الضَّرابُ
الصَّامِتَاتُ وَلِلطُّيورِ عَلَى مَشَاْرِفِهَا اصْطخَابُ
تَحْنُو الدُّمُوعُ عَلَى القُبُوْرِ فَتُوْرِقُ الصُمُّ الصِلابُ
ياْ شَامُ : يا لِدَةَ الْخُلُودِ وضَمَّ مَجْدَكُماْ اَنْتسَابُ
مَنْ لي بِنَزْرٍ مِنْ ثَرَاكِ وَقَدْ ألَحَّ بِيَ اغْترابُ
هَذَا الأَدِيْمُ شَمَائِلٌ غُرٌّ وَأحْلامٌ عِذَابُ
و أمُوْمَةٌ وَطُفُوْلَةٌ وَرُؤَىْ كَمَا عَبَرَ الشَّهَابُ
هذا الأدِيْمُ أبِيْ و أمِّيْ و البدَايْةُ و الْمَآبُ
وَوَسَائِدِيْ وَقَلائِدِيْ ودُمَى الطُّفُوْلَةِ وَالسَّحَابُ
وَدَدٌ يُبَاعُ لَهُ الوَقَارُ -وَلاْ نَدَامَةَ - والصَّوابُ
الرُّوحُ مِنْ غَيْبِ السَّمَاْءِ وَمِنْكَ قَدْ نُسِجَ الإهَابُ
أشْتَاقُ شَمْسَكَ والضُّحَى أنَا والبُحَيْرةُ و الضَّبابُ
وَمُضَفَّرَاتٌ بِالثُّلْوجِ كأَنَّما نَصَلَ الْخِضَابُ
تَعْوي الرِّيَاْحُ فَمَا القَسَاوِرُ فِيْ الْفَلاةِ وَمَا الذِّئَابُ
و الثَّلْجِ جُنَّ فَلَمْ تَبِنْ سُبُلٌ وَلَمْ تُعْرَفْ شِعَابُ
أخْفَى الْمَعَالِمَ لا السُّفُوحُ هِيَ السُّفُوحُ و لا الْهِضَابُ
يا شَمْسُ غِبْتِ فَكَيْفَ تَمَّ - ولا طُلُوعَ لك - الغِيَابُ
إنْ كُنْتِ مُسْلِمَةَ الْهَوَى فَتَألَّقِيْ، رُفِعَ الحِجابُ
مَلَّ السَّحَابُ مِنَ السَّمَاْءِ وَقَرَّ فِيْ الأَرْضِ السَّحَابُ
وَكَأنَّ مِلءَ الأرْضِ مِلءَ الأفْقِ آلِهَةٌ غِضَابُ
حُسْنٌ يُهَابُ وَمَاْ سَمَاْ حُسْنٌ يُحَبُّ و لا يُهَابُ

بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّوحِ فِيْ أحْزَانِهِ النَّسَبُ القُرَابُ
مِنْ كُلِّ مُوْحِشَةٍ فَأيْنَ الطِّيْبُ وَالوَهْجُ الْمُذَابُ
وَغَدَاً يَعُودُ لَكَ الشَّبَابُ وَلَنْ يَعُوْدَ لِيَ الشَّبَابُ
الدَّهْرُ مِلْكُ يَمِيْنِهِ وَالشَّمْسُ مِنْ يُسْراهُ قَابُ
و العُمْرُ أيَّامٌ قَدْ اخْتُصِرَتْ وَآمَالٌ رِحَابُ
لَيْتَ الْمَلائِكُ يُشْفِقُوْنَ عَلَى الأُلَىْ عَبَثُوا وَخَابُوا

يا شَامُ عِطْرُ سَرِيْرَتِي حُبٌّ لِجَمْرَتِهِ التِهَابُ
و النُّوْرُ فِي عَيْنِي وَلا مَنٌّ عَلَيكِ وَلاْ كِذَابُ
أنَاْ طَيْرُكِ الشَّادِيْ وَلِلأنْغَامِ مِنْ كَبِدِيْ انْسِرَابُ
سُكِبَتْ أغَارِيْدِيْ وَلِلأَمْوَاجِ زَأْرٌ وَاحْتِرَابُ
أنَاْ وَالرَّبِيْعُ مُشَرَّدَانِ وَلِلشَذَاْ مَعَنَا ذهَاْبُ
والنُّوْرُ يَسْألُ و الْخَمَائِلُ وَالْجَمَالُ مَتَى الإيَاْبُ ؟





مسيرة الموتى

من قصيدة «من وحي الهزيمة»

رَمْلُ سِيْنَاءَ قَبْرُنَا الْمَحْفُوْر   وَعَلَى الْقَبْرِ مُنْكَرٌ وَنَكِيْر
كِبْرِيَاءُ الصَّحْرَاْءِ مَرَّغَهَا الذُل   فَغَابَ الضُّحَى وَغَارَ الزَّئِيْرُ
لا شَهِيْدٌ يُرْضِيْ الصَّحَارَى، وَجلَّى   هَارِبٌ فِيْ رِمَالِهَا وَأَسِيْرُ
أيُّهَا الْمُسْتَعِيْرُ أَلْفَ عَتَادٍ   لِأَعَادِيْكَ كُلُّ مَا تَسْتَعِيْرُ
هَدَّكَ الذُّعْرُ لا الْحَدِيْدُ وَلا النَّار   وَعِبءٌ عَلَى الْوَغَى الْمَذْعُوْرُ
أغُرُوْرٌ عَلَى الْفِرَارِ ؟ لَقَدْ ذَاب   حَيَاءً مِنَ الْغُرُوْرِ الْغُرُوْرُ !
وَتَطِيْرُ النُّسُوْرُ مِنْ زَحْمَةِ النَّجْم ،   وَفِي عُشِّهِ الْبُغَاثُ يَطِيْرُ
جَبُنَ الْقَادَةُ الْكِبَارُ وَفَرُّوا   وَبَكَى لِلْفِرَارِ جَيْشُ جَسُوْر
هُزِمَ الْحَاكِمُوْنَ ؟ وَالشَّعْبُ فِيْ   الأصْفَاد ، فَالْحُكْمُ وَحْدَهُ الْمَكْسُوْر
هُزِمَ الْحَاْكِمُوْنَ .لَمْ يَحْزَنِ الشَّعْب   عَلَيْهِمْ ، ولاْ انْتَخَى الْجُمْهُوْر

لا تَسَلْ عَنْ نَمِيْرِهَا غُوْطَةَ الشَّام   أَلَحَّ الصَّدَى وَغَاضَ النَّمِيْر
وَانْسَ عِطْرَ الشَّام ، حَيْثُ يُقِيْمُ   الظُّلمُ تَنْأَىْ .. و لاْ تُقِيْمُ العُطُور
أطْبِقُوا .. لاْ تَرَىْ الضِّيَاْء جُفُوْنِي   فَجُفُوْنِي عَنِ الضَّيَاْءِ سُتُوْرُ
بَعْضُ حُرِّيَتِيْ السَّمَاوَاتُ وَالأنْجُم   و الشَّمْسُ وَالضُّحَى وَالبُدُور
بَعْضُ حُرِّيَتِيْ الْمَلائِكُ وَالْجَنَّة   و الرَّاحُ و الشَّذَا و الْحُبُوْرُ
بَعْضُ حُرِّيَتِي الْجَمَالُ الإلَهِي   وَمِنْهُ الْمَكْشُوْفُ وَالْمَسْتُوْر
بَعْضُ حُرِّيَتِي وَيَكْتَحِلُ العَقْلُ   بِنُوْرِ الإلْهَام ، وَالتَّفْكِيْر
بَعْضُ حُرِّيَتِي. وَنَحْنُ القَرَابِيْن   لِمِحْرَابِهَا ، وَنَحْنُ النُّذُوْر
بَعْضُ حُرِّيَتِي، مِنَ الصُّبْحِ أطْيَابٌ   وَمِنْ رِقَّةِ النَسِيْم حَرِيْرُ
نَحْنُ أسْرَىْ ، وَلَوْ شَمَسْنا[1] عَلَى القَيْد   لَمَا نَالَنَا الْعَدُوُّ الْمُغِيْرُ
لاقْتَحَمْنَا عَلَىْ الغُزَاة لَهِيْبَاً   وَعَبَرْنَا وَمَا اسْتَحَالَ الْعُبُوْرُ
سَأَلُوْنِي عَنِ الْغُزَاْة فَجَاوَبْتُ :   رِمَالٌ تُسْفَى وَنَحْنُ الصُّخُوْرُ
سَأَلُوْنِي عَنِ الْغُزَاْةِ فَجَاوَبْتُ   لَيَالٍ تَمْضِي وَنَحْنُ الدُّهُوْرُ !

أنَا حُزْنُ شَخْصٍ يَرُوْحُ وَيَغْدُو   وَمَسَائِي مَعَ الأَسَى وَالبُكُوْرُ
أنَا حُزْنٌ يَمُرُّ فِي كُلِّ بَاب   سَائِلٌ مُثْقَلُ الْخُطَى مَنْهُوْر
طَرَدَتْنِي الأكْوَاْخُ ، وَالْبُؤسُ قُرْبِى   وَتَعَالَتْ عَلَى شَقَائِي القُصُوْر
يَحْتَوِيْنِي الهَجِيْرُ حِيْنَاً ، وَلاْ يَرْحَمُ   أسْمَالَ فُقْرِي الزَّمْهَرِيْر
وَعَلَى الْجُوْعِ وَالضَّنَى وَالرَّزَايَا   فِي دُرُوْبِي أَسِيْرُ ثُمَّ أسِيْر
نَقَلَتْنِي الصَّحْرَاْءُ حِيْنَاً .. وَحِيْنَاً   نَقَلَتْنِي إلَى الشُّعُوْبِ البُحُوْر
حَامِلاً مِحْنَتِي أُجَرِّرُ أقْدَامِي   وَيَوْمِي سَمْحُ الْغَمَام مَطِيْر
حَامِلاً مِحْنَتِي أُوَزِّعُهَا فِي   كُلِّ دُنْيَا وَشَرُّهَا مُسْتَطِيْر
مِحْنَتِي الْغَيْثُ إنْ أرَادُوا وَإلا   فَهَدِيْرُ الْبُرْكَان وَالتَّدْمِيْر
حَامِلاً مِحْنَةَ الْخِيَام ، فَتَزُوْرُّ   وُجُوْهٌ عَنِّي وَتُغْلَقُ دُوْرٌ !
ألْخِيَامُ الْمُمَزَّقَاتُ وَأُم   فِي الزَّوَايَا وَكِسْرَةٌ وَحَصِيْر
وَفَتَاْةٌ أذَلَّهَا الْعُرْيُ وَالْجُوْع   وَيَلْهُوْ بِالرَّمْل طِفْلٌ صَغِيْر

نَحْنُ أَسْرَىْ ، وَحِيْنَ ضِيْمَ حِمَاْنَا   كَاْدَ يَقْضِي مِنْ حُزْنِهِ الْمَأْسُوْر
وَمَعَ الأسْرِ نَحْنُ نَسْتَشْرِفُ الأفْلاْك   وَالدَّاْئِرَاتُ كَيْفَ تَدُوْرُ
نَحْنُ مَوْتَىْ ! وَشَرُّ مَا ابْتَدَعَ الطُّغْيَاْن   مَوْتَىْ عَلَى الدُّرُوْبِ تَسِيْرُ
نحن مَوْتَىْ ! وَإنْ غَدَوْنَاْ وَرُحْنَا   وَالْبُيُوْتُ الْمُزَوَّقَاْتُ قُبُوْر
نَحْنُ مَوْتَىْ . يُسِرُّ جَاْرٌ لِجَارٍ   مُسْتَرِيْبَاً : مَتَى يَكُوْنُ النُّشُوْرُ



[1] الشماس، الممانعة والعناد، ورجل شموس أي صعب .

في وعورة الصحراء !

من قصيدة «ظمأ إلى السَّرَابْ»

يُرَافِقُنِي سَرَابُكِ أَرْيَحِيًّا   فَأُغْمَرُ بِالرَّحِيْقِ وَبِالْمَلابِ
سَرَابٌ أَسْمَرُ الْقَسَمَاتِ هَانٍ   نَدِيُّ اللَّمْحِ وَرْدِيُّ الْحَبَابِ
يُزَوِّقُ لِي الرِّمَالَ جَنًى وَظِلاًّ   وَيَغْمِزُ بِالْكُؤوسِ وَبِالشَّرَابِ
مَحَا حِقْدَ الْهَجِيْرِ عَلَى الصَّحَارَى   وَوَحْدَتِيَ الْمَرِيْرَةَ وَاغْتِرَابِي
سَرَابُكِ رَحْمَةٌ وَمُنًى حِسَانٌ   سَكَبْنَ طُيُوبَهُنَّ عَلَى عَذَابِي
أَحُثُّ خُطَايَ فِي اللَّهَبِ الْمُدَمَّى   إِلَى أَفْيَائِهِ الْخُضْرِ الرِّطَابِ
فَلَوْ كَانَ الشَّبَابُ كَمَا عَهِدْنَا   وَهَبْتُ جَزَاءَ نِعْمَتِهِ شَبَابِي
بَكَيْتُ مِنَ السَّرَابِ فَحِيْنَ وَلَّى   وَأَوْحَدَنِي. بَكَيْتُ عَلَى السَّرَابِ
وَأَشْقَانِي الْيَقِيْنُ فَيَا حَنِيْنِي   إِلَى الْخُدَعِ الْمُنَضَّرَةِ السَّوَابِي
أَتَمْحُوْ يَا سَرَابُ خُطَاكَ ... هُوْجٌ   مَوَاحٍ لِلْمَعَالِمِ وَالْقِبَابِ
يَدُلُّ عَلَى خُطَاكَ شَذاً وَحُبٌّ   فَأَرْشُفُ مَا وَطِئْنَ مِنَ التُّرَابِ

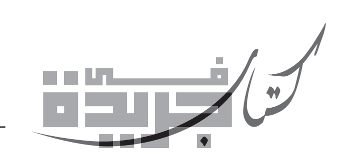
خَضِبْتَ بِلَوْنِ سُمْرَتِكَ الْمُصَفَّى   حَيَاتِي وَالْمُحَبَّبَ مِنْ رِغَابِي
وَلامَكَ عِنْدَنَا قَوْمٌ وَعَابُوا   يَجِلُّ النُّوْرُ عَنْ لَوْمٍ وَعَابِ
وَأَنْتَ النُّوْرُ فِي عَيْنِي وَقَلْبِي   عَلَى حَالَيْكَ مِنْ شَهْدٍ وَصَابِ
سَرِيْرَتُكَ الضِّيَاءُ بِلاَ غُرُوْبٍ   وَعَيْنَاكَ الْغُيُوْبُ بِلاَ حِجَابِ
وَقَفْتُ بِبَابِ جَاهِكَ مُطْمَئِنًّا   كَأَنَّ الدَّهْرَ وَالدُّنْيَا بِبَابِي

رحيق الكهولة

من قصيدة «اتسألين عن الخمسين ؟»

أَتَسْأَلِيْنَ عَنِ الْخَمْسِيْنِ مَا فَعَلَتْ   يَبْلَى الشَّبَابُ وَلا تَبْلَى سَجَايَاهُ
فِيْ الْقَلْبِ كَنْزُ شَبَابٍ لا نَفَادَ لَهُ   يُعْطِي وَيَزْدَادُ مَا ازْدَادَتْ عَطَايَاهُ
فَمَا انْطَوَى وَاحِدٌ مِنْ زَهْوِ صَبْوَتِهِ   إلاَّ تَفَجَّرَ أَلْفٌ فِي حَنَايَاهُ
هَلْ فِي زَوَايَاهُ مِنْ رَاحِ الصِّبَا عَبَقٌ   كُلُّ الرَّحِيْقِ الْمُنَدَّى فِي زَوَايَاهُ
يَبْقَى الشَّبَابُ نَدِيّاً فِي شَمَائِلِهِ   فَلَمْ يَشِبْ قَلْبُهُ إِنْ شَابَ فُودَاهُ
تَزَيَّنَ الْوَرْدُ أَلْوَاناً لِيَفْتِنَنَا   أَيَحْلِفُ الْوَرْدُ أَنَّا مَا فَتَنَّاهُ؟
صَادِي الْجَوَانِحِ فِيْ مَطْلُوْلِ أَيْكَتِهِ   فَمَا ارْتَوَى بِالنَّدَى حَتَّى قَطَفْنَاهُ
هَذَا السُّلافُ أَدَامَ اللهُ سَكْرَتَهُ   مِنَ الشِّفَاهِ الْبَخِيْلاتِ اعْتَصَرْنَاهُ

رُوْحِي فِدَى وَثَنٍ مَا كَانَ أَفْقَرَنَا   إِلَيْهِ فِي عِزَّةِ النُّعْمَى وَأَغْنَاهُ
إِنْ كَانَ يَذْكُرُ أَوْ يَنْسَى فَلا سَلِمَتْ   عَيْنِي وَلاَ كَبِدِي إِنْ كُنْتُ أَنْسَاهُ
يَا مَنْ سَقَانَا كُؤوسَ الْهَجْرِ مُتْرَعَةً   بَكَى بِسَاطُ الْهَوَى لَمَّا طَوَيْنَاهُ





سحر الصحراء

من قصيدة «الكعبة الزهراء»

بِنُوْرٍ عَلَى أمِّ القُرَى وَبِطِيْبِ   غَسَلْتُ فُؤَادِيْ مِنْ أَسَىً وَلَهِيْبِ
لَثَمْتُ الثَّرَى سَبْعَاً وَكَحَّلْتُ مُقْلَتِيْ   بِحُسْنٍ كَأَسْرَارِ السَّمَاءِ مَهِيْبِ
وَأَمْسَكْتُ قَلْبِي لاْ يَطِيْرُ إِلَى«مِنَىً»   بِأَعْبَائِهِ مِنْ لَهْفَةٍ وَوَجِيْبِ
فَيَاْ مُهْجَتِيْ : وَاْدِي الأمِيْنِ مُحَمَّدٍ   خَصِيْبُ الْهُدَىْ : وَالزَّرْعُ غَيْرُ خَصِيْبِ
و فِيْ الْكَعْبَةِ الزَّهْرَاْءِ زَيَّنْتُ لَوْعَتِيْ   وَعَطَّرَ أبْوَابَ السَّمَاْءِ نَحِيْبِيْ

وَرَدَّدَتِ الصَّحْرَاْءُ شَرْقَاً وَمَغْرِبَاً   صَدَىْ نَغَمٍ مِنْ لَوْعَةٍ وَرُتُوْبِ
تَلاْقَوا عَلَيْهَا ، مِنْ غَنِيٍّ وَمُعْدَمٍ   وَمِنْ صِبْيَةٍ زُغْبِ الْجَنَاْحِ وَشِيْبِ
أَنَاْخُوا الذُّنُوْبَ الْمُثْقَلاْتِ لَوَاْغِبَاً   بِأَفْيَحَ - مِنْ عَفْوِ الإِلَهِ - رَحِيْبِ

وَلِيْ غَفْوَةٌ فِي كُلِّ ظِلٍّ لَقِيْتُهُ   وَوَقْفَةُ سُقْيَاْ عِنْدَ كُلِّ قَلِيْبِ
هَتَكْتُ حِجَابَ الصَّمْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا   بِشَبَّاْبَةٍ سَكْرَىْ الْحَنِيْنِ خَلُوْبِ
حَسِبْتُ بِهَا جِنِّيَّةً «مَعْبَدِيَّةً»[2]   وَفَرَّجْتُ عَنْ غَمَّاْئِهَا بِثُقُوْبِ

وَأَلْفُ سَرَاْبٍ ، مَاْ كَفَرْتُ بِحُسْنِهَا   وَإِنْ فَاْجَأَتْ غُدْرَاْنُهَاْ بِنُضُوْبِ
وَضَجَّةُ صَمْتٍ جَلْجَلَتْ . ثُمَّ وَاْدَعَتْ   وَرَقَّتْ ، كَأَخْفَىْ هَمْسَةٍ وَدَبِيْبِ
وَأَطْيَاْفُ جِنٍّ فِي بِحَاْرِ رِمَاْلِهَا   تُصَاْرِعُ حَاْلَيْ طَفْوَةٍ وَرُسُوْبِ
وَمَنْ صَحِبَ الصَّحْرَاْءَ هَاْمَ بِعَاْلَمٍ   مِنَ السِّحْرِ جِنِّيِّ الطُّيُوْفِ رَهِيْبِ

أَرَىْ بِخَيَاْلِ السُّحْبِ - خَطْوَ مُحَمَّدٍ   عَلَىْ مُخْصِبٍ مِنْ بِيْدِهَاْ وَجَدِيْبِ
وَسُمْرَ خِيَاْمٍ مَزَّقَ الصَّمْتُ عِنْدَهَاْ   حَمَاْحِمَ خَيْلٍ بُشِّرَتْ بِرُكُوْبِ
أَشُمُّ الرِّمَالَ السُّمْرَ : فِيْ كُلِّ حَفْنَةٍ   مِنَ الرَّمْلِ ، دُنْيَاْ مِنْ هَوَىً وَطُيُوْبِ
تَوَحَّدَتُ بِالصَّحْرَاْءِ . حَتَّىْ مَغِيْبَهَا   وَمَشْهَدُهَاْ مِنْ مَشْهَدِيْ وَمَغِيْبِيْ
وَمِنْ هَذِهِ الصَّحْرَاْءِ صِيْغَتْ سَجِيَّتِيْ   فَكُلُّ عَجِيْبِ الدَّهْرِ غَيْرُ عَجِيْبِ
نَقَلْتُ إِلَىْ قَلْبِيْ حَيَاْءً وَعِفَّةً   أَسَاْرِيْرَ وَجْهِيْ مِنْ أَسَىً وَقُطُوْبِ
وَعَرَّتْنِيَ الأَيَّاْمُ مِمَّنْ أُحِبُّهُمْ   كَأَيْكٍ - تَحَاْمَاْهُ الرَّبِيْعُ - سَلِيْبِ

تَدَفَّقَتِ الأَمْوَاْجُ وَاللَّيْلُ كَاْفِرٌ   وَهَبَّ جُنُوْنُ الرِّيْحِ كُلَّ هُبُوْبِ
رَمَىْ اليَمُّ أَنْضَاْءَ السَّفِيْنِ بِمَاْرِدٍ   مِنَ اليَمِّ تَيَّاْهِ الْحُتُوْفِ غَضُوْبِ
يُزَلْزِلُهَاْ يُمْنَى وَيُسْرَىْ مُزَمْجِرَاً   وَيَضْغَمُهَاْ مِنْ هَوْلِهِ بِنُيُوْبِ
يُرَقِّصُهَا حِيْنَاً وَحِيْنَاً يَرُجُّهَاْ   وَيُوْجِزُ حَاْلَيْ هَدْأَةٍ وَوُثُوْبِ
وَتَرْفَعُهَاْ عَجْلَىْ وَعَجْلَىْ تَحُطُّهَا   لَعُوْبٌ مِنَ الأَمْوَاْجِ جِدُّ لَعُوْبِ
وَأَيْقَنَ أَنْضَاْءُ السَّفِيْنَةِ بِالرَّدَىْ   يُطَاْلِعُهُمْ فِيْ جِيْئَةٍ وَذُهُوْبِ
وَلَمَّا اسْتَطَاْلَ اليَأْسُ يَكْسُوْ وُجُوْهَهُمْ   بِأَلْوَاْنِهِ مِنْ صُفْرَةٍ وَشُحُوْبِ
دَعَوا : يَاْ أَبَا الزَّهْرَاْءِ وَالْحَتْفُ زَاْحِفٌ   عَلَيْهِمْ : لَقَدْ وُفِّقْتُمُ بِمُجِيْبِ

[2] نسبة إلى شيخ المغنين (معبد)

عيون المبتسم

من قصيدة «الكآبة الخرساء»

إِتْرُكِيْنِي بِوَحْدَتِي وَعَنَائِيْ   وَاهْرُبِي مِنْ تَأَوُّهِي وَبُكَائِيْ
مَاْ بِقَلْبِي غَيْرُ الْجِرَاْحِ وَهَلْ يُرْضِيْكِ   مَأْوًى مُدَنَّسٌ بِالدِّمَاْءِ
إِنَّ هَذَاْ الْوَرَى بُيُوْتُ قَصِيْدٍ   أَنَاْ فِيْهَاْ يَاْ مَيُّ بَيْتُ الرِّثَاْءِ
لَسْتُ أَهْوَاْكِ فَاْزْدَرِيْنِيْ   وَالْخَائِنُ أَهْلٌ لِلْهَجْرِ وَالاِزْدِرَاْءِ
كِذْبَةٌ تَسْعَدِيْنَ فِيْهَا وَأَشْقَى   أَنَا فِي كِذْبَتِيْ مِنَ الشُّهَدَاْءِ
قَدْ يَخُطُّ الْقَضَاْءُ سَطْرًا وَفِي   تَضْحِيَةِ الْمَرْءِ مَحْوُ خَطِّ الْقَضَاْءِ
بَاْسِمٌ وَالْهُمُوْمُ تَحْفِرُ دَمْعِي   أَنَا فِي الاِبْتِسَاْمِ عَيْنُ الْمُرَاْئِي
وَالْكَآبَاْتُ أَلْفُ نَوْعٍ وَمَاْ   يَقْتُلُ الْكَآبَةُ الْخَرْسَاْءُ

الذل الأنيق !

من قصيدة «أني لا شمت بالجبار»

يَاْ سَامِرَ الْحَيِّ هَلْ تَعْنِيْكَ شَكْوَانَا؟   رَقَّ الْحَدِيْدُ وَمَا رَقُّوا لِبَلْوَانَا
خَلِّ الْعِتَابَ دُمُوْعًا لا غِنَاءَ بِهَا   وَعَاتِبِ الْقَوْمَ أَشْلاءً وَنِيْرَانَا
وَيْلَ الشُّعُوبِ الَّتِي لَمْ تَسْقِ مِنْ دَمِهَا   ثَارَاتِهَا الْحُمْرَ أَحْقَادًا وَأَضْغَانَا
تَرَنَّحَ السَّوْطُ فِي يُمْنَى مُعَذِّبِهَا   رَيَّانَ مِنْ دَمِهَا الْمَسْفُوْحِ سَكْرَانَا
تُغْضِي عَلَى الذُّلِّ غُفْرَانًا لِظَالِمِهَا   تَأَنَّقَ الذُّلُّ حَتَّى صَارَ غُفْرَانَا!

سَمِعْتُ بَارِيْسَ تَشْكُوْ زَهْوَ فَاتِحِهَا   هَلاَّ تَذَكَّرْتِ يَاْ بَارِيْسَ شَكْوَانَا؟
تِلْكَ الْفَضَائِحُ قَدْ سَمَّيْتَهَاْ ظَفَرًا   هَلاّ تَكَافَأَ يَوْمَ الرَّوْعِ سَيْفَانَا
نُجَابِهُ الظُّلْمَ سَكْرَانَ الظُّبَى أَشِرًا   وَلاْ سِلاحَ لَنَا إلاّ سَجَايَانَا
إِذَا انْفَجَرَتْ مِنَ الْعُدْوَانِ بَاكِيَةً   لَطَالَمَا سُمْتَنَا بَغْيًا وَعُدْوَانَا
عِشْرِيْنَ عَامًا شَرِبْنَا الْكَأْسَ مُتْرَعَةً   مِنَ الأَذَى فَتَمَلَّيْ صَرْفَهَا الآنَا

مَاْ لِلسَّفِيْنَةِ لَمْ تَرْفَعْ مَرَاسِيَهَا ؟   أَلَمْ تُهَيِّئْ لَهَا الأَقْدَارُ رُبَّانَا ؟
شُقِّي الْعَوَاصِفَ وَالظَّلْمَاءُ جَارِيَةٌ   بِاسْمِ الْجَزِيْرَةِ مَجْرَانَا وَمَرْسَانَا
ضُمِّي الأَعَارِيْبَ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ   إِنِّيْ لأَلْمَحُ خَلْفَ الْغَيْمِ طُوْفَانَا
يَاْ مَنْ يَدُلُّ عَلَيْنَا فِي كَتَائِبِهِ   نَظَارِ تَطْلُعُ عَلَى الدُّنْيَا سَرَايَانَا





الهموم بعض أبنائي

من قصيدة «بدعة الذل»

يَعْرِفُ الْفَجْرُ أَنَّ دَمْعِيَ أَصْفَى ... مِنْ نَدَاهُ وَيَعْرِفُ الرَّيْحَانُ
هَبْ نَدَى الْفَجْرِ كَالدُّمُوعِ صَفَاءً ... أَيْنَ مِنْهُ الْبَلْوى وَأَيْنَ الْحَنَانُ
يَعْرِفُ الطِّيْبُ أَنَّ دَمْعِيَ أَذْكَى ... مِنْهُ عِطْراً وَتَعْرِفُ الأَرْدَانُ
تَعْرِفُ الرَّاحُ أَنَّ دَمْعِيْ سُلافٌ ... وَجُفُوْنِي كُؤُوسُهَا وَالدِّنَانُ
أَنَا أَبْكِيْ لِلَّيْلِ أَوْحَشَهُ الْبَدْرُ ... وَلِلْقَلْبِ هَدَّهُ الْحِرْمَانُ
أَنَا أَبْكِيْ لِلهَمِّ يَأْوِيْ إِلَى الْقَلْبِ ... فَيَقْسُوْ عَلَى الغَرِيْبِ الْمَكَانُ
أَنَا أَبْكِيْ لِكُلِّ طَاغٍ فَمَا يَسْتُرُ ... إِلاَّ الضَّرَاعَةَ الطُّغْيَانُ
أَنَا أَبْكِيْ لِلْعَيْنِ لاَ تُدْرِكُ الْحُسْنَ ... وَلِلْحُسْنِ فَاتَهُ الإِحْسَانُ
أَنَا أَرْثِي لِلْمُتْرَفِيْنَ فَمَا يُبْدِعُ ... إِلاَّ الشَّقَاءُ وَالأَحْزَانْ
وَأَنَا الْمُتْرَفُ الأَنِيْقُ وَلَكِنْ ... تَرَفِيْ صَاغَ فَنَّهُ الرَّحْمنُ
أَنَا أَبْكِيْ لِكُلِّ قَيْدٍ فَأَبْكِي ... لِقَرِيْضِي تَغُلُّهُ الأَوْزَانُ
أَدْمُعِيْ فِيْ السَّمَاءِ أَنْجُمُهَا ... الزُّهْرُ وَفِيْ الْبَحْرِ دُرُّهُ وَالْجُمَانُ
أَيُّهَا الْمُذْنِبُوْنَ هَذَا فُؤَادِيْ ... مِنْ مَعَانِيْ جِرَاحِهِ الْغُفْرَانْ
مِنْ هُمُوْمِي مَا يَغْمُرُ الْكَوْنَ بِالْعِطْرِ ... وَمِنْهَا مَزَاهِرٌ وَقِيَانُ
لَمْ أَضِقْ بِالْهُمُوْمِ قَلْباً وَهَلْ ... ضَاقَ بِشَتَّى عُطُوْرِهِ الْبُسْتَانْ
وَأَنَا الْوَالِدُ الرَّحِيْمُ وَأُبْنَائِيْ ... هُمُوْمُ الْحَيَاةِ وَالأَشْجَانُ
وَأُعِيْرُ الْحَزِيْنَ سِحْرَ بَيَانِيْ ... فَيُعَزِّيهِ لَوْ يُعَارُ الْبَيَانُ

بِدْعَةُ الذُّلِّ حِيْنَ لاْ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ فِيْ الشَّامِ أَنَّهُ إِنْسَانُ
بِدْعَةُ الذُّلِّ أَنْ يُصَاغَ مِنَ الفَرْدِ إِلهٌ مُهَيْمِنٌ دَيَّانُ

يَالَهَا دَوْلَةً تُعَاقَبُ فِيْهَا ... كَالْجُنَاةِ الْعُقُوْلُ وَالأَذْهَانْ
أَيْنَ حُرِّيَّتِي فَلَمْ يَبْقَ حُرّاً ... مِنْ جَهِيْرِ النِّدَاءِ إِلاَّ الأَذَانْ
أَلضُّحَى وَالشُّجَاعُ حِلْفَا كِفَاحٍ ... مَا احْتَمَى بِالظَّلامِ إِلاّ جَبَانْ
سَائِلُوا زَحْمَةَ الْعَوَاصِفِ لَمَّا ... رَجَّتِ الأَرْضُ أَيْنَ كُنَّا وَكَانُوا
وَسَلُوا ظُلْمَةَ السُّجُوْنِ فَلَنْ ... يُنْبِئَ عَنْهُمْ سِجْنٌ وَلاْ سَجَّانْ
كَتَبَ الْمَجْدُ مَا اشْتَهَتْ غُرَرُ الْمَجْدِ ... وَنَحْنُ الْكِتَابُ وَالْعُنْوَانْ
نَحْنُ تَارِيْخُ هَذِهِ الأُمَّةِ الْفَخْمُ ... وَنَحْنُ الْمَكَانُ وَالسُّكَّانْ
مِنْ غَوَالِيْ دُمُوْعِنَا الْخَمْرُ وَالْعِطْرُ ... وَنُعْمَى دِمَائِنَا الأَرْجُوَانْ

قَلْبِيَ الْوَاحَةُ الطَّرُوْبُ بِصَحْرَاءَ ... جَفَتْهَا الظِّلالُ وَالْغُدْرَانْ
تَتَرَاءَى الأَفْيَاءُ يُوْمِئْنَ لِلرَّكْبِ ... وَتَحْنُو عَلَى الْوَنَى الأَفْنَانْ
جَنَّتِي نِعْمَةُ السَّكِيْنَةِ وَالدُّنْيَا ... جَحِيْمٌ وَالْحَرْبُ حَرْبٌ عَوَانْ
الْغَوَالِي أَدِيْمُهَا وَاللآلِي ... وَحَصَاهَا الْيَاقُوْتُ وَالْمَرْجَانْ
وَرَحِيْقٌ تَكَادُ تَشْتَقُّهُ الْعَيْنُ ... وَيُرْوِي بِلَمْحِهِ الظَّمْآنُ
وَتَمَنٍّ كَمَا تَشَاءُ الْخَيَالاتُ ... وَطَوْعُ الأُمْنِيَّةِ الإِمْكَانْ
هَذِهِ جَنَّتِيْ فَلاْ تَخْدَعِ الرَّكْبَ ... فَرَادِيْسٌ زُوِّرَتْ وَجِنَانْ
إِنَّ لِلشَّرِّ جَنَّةً يَغْمِزُ الإِغْرَاءُ ... فِيْهَا وَيَضْحَكُ الشَّيْطَانْ

في طريق التيه

من قصيدة «نَمْ بقلبِي»

تَتَجَلَّى عِنْدَ الْمَغِيْبِ لِعَيْنِي ... ضِيَاءً عَذْبَ الْحَنَانِ رَفِيْقَا
وَجَلاكَ الشُّرُوْقُ حَتَّى تَبَيَّنْتُ ... مُحَيَّاكَ فَاحْتَضَنْتُ الشُّرُوْقَا
وَتَزُوْرُ الْبُرُوْقَ تُخْبِرُنِي عَنْكَ ... وَلَوْلاكَ مَا اسْتَزَرْتُ الْبُرُوْقَا
كُلُّ حُسْنٍ أَرَى مُحَيَّاكَ فِيْهِ ... فَأُطِيْلُ الإِمْعَانَ وَالتَّحْدِيْقَا
نَمْ بِقَلْبِي وَلَوْ قَدَرْتُ مَنَعْتُ الْقَلْبَ ... حَتَّى تَقَرَّ فِيْهِ الْخُفُوْقَا
نَمْ بِعَيْنِي فَقَدْ فَرَشْتُ لَكَ الأَحْلامَ ... مُخْضَلَّةَ الْوُرُوْدِ طَرِيْقَا
زَيَّنَ الْجَفْنُ دَمْعَهُ لَكَ فَانْهَلَّ ... سُلافاً عَذْباً وَمِسْكاً فَتِيْقَا

هَمِّيَ الْهَمُّ لَوْ تَكَشَّفَ لِلنَّاسِ ... لأَغْرَى حُسْناً وَرَاعَ بَرِيْقَا
أَتْرِعَ الْكَأسَ لِلرَّبِيْعِ فَغَنَّى ... وَانْتَشَى بَانُهُ فَمَاسَ رَشِيْقَا
نَجْمَتِي وَالطَّرِيْقُ تِيْهٌ وَلَيْلٌ ... وَرَفِيْقِي إِذَا فَقَدْتُ الرَّفِيْقَا
سَكَرَ الشِّعْرُ مِنْ سُلافِي وَعَبَّتْ ... مِنْ دِنَانِي فَجُنَّتِ الْمُوْسِيْقَا

وَحْدَتِي عَالَمٌ مِنَ السِّحْرِ وَالْفِتْنَةِ ... حُلْوُ الْقِطَافِ خَمْراً وَرِيْقَا
طُفْ بِقَلْبِي تَجِدْ بِهِ أَلْفَ دُنْيَا ... لا يُلاقِي الشَّقِيْقُ فِيْهَا الشَّقِيْقَا
سَكَنَتْهُ الشُّمُوْسُ مِنْ كُلِّ أُفْقٍ ... وَتَحَدَّى أَشْتَاتَهَا أَنْ يَضِيْقَا
حَفِيَ الْفِكْرُ فِي عَوَالِمِهَا الفِيْحِ[3] ... وَلَمْ يَبْلُغِ الْمَكَانَ السَّحِيْقَا
كُلُّ أُفْقٍ تَضِيْقُ فِيْهِ أَسِيْراً ... سِعَةُ الأُفْقِ أَنْ تَكُوْنَ طَلِيْقَا

سَأَلَتْنِي عَنْكَ الْخَمَائِلُ فِي الْغُوْطَةِ ... تَشْتَاقُ عِطْرَكَ الْمَرْمُوْقَا
وَدُرُوْبٌ خُضْرٌ عَلَيْهَا خُطَى ... الشَّاءِ تُعِيْدُ التَّغْرِيْبَ وَالتَّشْرِيْقَا[4]
وَظِلالٌ سَكْرَى وَفَوْضَى مِنَ الزَّهْرِ ... تَحَدَّى جَمَالُهَا التَّنْسِيْقَا
مَا تَبَرَّجْنَ لِلْعُيُوْنِ فَغَالِي ... الْحُسْنِ يَأْبَى الإِغْرَاءَ وَالتَّشْوِيْقَا
وَدَّتِ الْوُرْقُ[5] لَوْ خَلَعْنَ مِنَ الْحُزْنِ ... عَلَيْكَ الْبَيَاضَ وَالتَّطْوِيْقَا

عِنْدِيَ الْكَنْزُ لاْ يَضِيْرُ غِنَاهُ ... أَنْ يَكُوْنَ الْمَنْهُوْبَ وَالْمَسْرُوْقَا
وَكُؤُوسٌ مِنَ السَّمَاءِ تَشَهَّتْ ... حُوْرُ رِضْوَانَ عِطْرَهَا وَالرَّحِيْقَا
عَابَ كَأْسِي وَلَمْ يَذُقْ عِطْرَ كَأْسِي ... لاْ تَعِبْهَا بِاللهِ حَتَّى تَذُوْقَا
يَا صَحِيْحَ الإِخَاءِ قَدْ كَشَفَ النَّاسُ ... إِخَاءً مُمَوَّهاً مَمْذُوْقَا
أَتَمَنَّى اللِّحَاقَ فِيْكَ وَأَشْكُوْ ... لِلْقَضَاءِ التَّأْخِيْرَ وَالتَّعْوِيْقَا

[3] الفيح: الواسعة

[4] الشاء هنا ليست تذكيراً لشاة وإنما جمع لها

[5] الورق: جمع ورقاء، أي الحمامة

ظلال بغداد القديمة

من قصيدة «مصرع الشمس»

صُوَرٌ لِلْقَدِيْمِ تَعْرِضُهَا الدُّنْيَا ... ضِيَاْءً وَرَوْعَةً فَي الْجَدِيْدِ

هَذِهِ دِجْلَةُ وَهَذِي الْبَسَاْتِيْنُ ... وَشَدْوُ الْقَمْرِيَّةِ الْغِرِّيْدِ

وَالأَمَاسِيُّ وَالنَّخِيْلُ وَمَلاَّحٌ ... طَرُوْبُ الْحِدَاْءِ حُلْوُ النَّشِيْدِ

وَاللَيَالِيْ الْقَمْرَاْءُ فَيْ النَّهْرِ ... وَالأَنْغَاْمُ أَصْدَاْءُ زَوْرَةٍ وَصُدُوْدِ

وَالْقِيَاْنُ الْمِلاحُ يِخْطُرْنَ فِيْ ... الشَّطِّ سُكَارَىْ مَرَنَّحَاتِ الْقُدُوْدِ

وَجَوَاْرٍ يَمْرَحْنَ فِي الزَّوْرَقِ السَّاْجِيْ ... وَيَضْحَكْنَ عَنْ نَدِيٍّ بَرُوْدِ

رَفَّ مِجْدَاْفُهُ عَلَىْ الْمَاْءِ وَانْسَاْبَ ... بِأَحْلَىْ مَعَاْصِمٍ وَزُنُوْدِ

فَانْتَشَىْ مِنْ طُيُوْفِهِنَّ وَجُنَّتْ ... قَطَرَاْتٌ عَلَقْنَ بَيْنَ النُّهُوْدِ

صَاْحِبَ التَّاْجِ ! دَمْعَةٌ مِنْ دُمُوْعِ ... الشَّاْمِ ذَوَّبْتُ عِطْرَهَا فِيْ قَصِيْدِيْ

فَيِّئِ الشَّاْمَ بِاللِوَاْءِ وَنَضِّرْ ... شَاْطِئَيْهَا بِظِلِّكَ الْمَمْدُوْدِ

لَيْسَ بَيْنَ الْعِرَاْقِ وَالشَّاْمِ حَدٌّ ... هَدَمَ اللهُ مَاْ بَنَوا مِنْ حُدُوْدِ

الخلود المر

من قصيدة «يا وحشة الثأر ! »

يَاْ وَحْشَةَ الْكَوْنِ لَوْلاْ لَحْنُ سَاْمِرِنَا ... عَلَىْ النَّدِيِّ الْمُصَفَّىْ مِنْ حُمَيَّاْنَا

نُشَاْرِكُ اللهَ - جَلَّ اللهُ - قُدْرَتَهُ ... وَلاْ نَضِيْقُ بِهَاْ خَلْقَاً وَإِتْقَاْنَا

وَأَيْنَ إِنْسَاْنُهُ الْمَصْنُوْعُ مِنْ حَمَإٍ ... مِمَّنْ خَلَقْنَاْهُ أَطْيَاْبَاْ وَأَلْحَاْنَا

وَلَوْ جَلاْ حُسْنَهُ إِنْسَاْنُ قُدْرَتِنَا ... لَوَدَّ جِبْرِيْلُ لَوْ صُغْنَاْهُ إِنْسَاْنَا

وَلَوْ غَمَرْنَاْ نُجُوْمَ الْلَيْلِ مُغْفِيَةً ... أَفَاْقَ أَتْرَفُهَا حُسْنَاْ وَغَنَّاْنَا

نَاْجَىْ عَلَىْ الطُّوْرِ مُوْسَىْ وَالنَّدَاْمُ لَنَاْ ... فَكَيْفَ أَغْفَلَ مُوْسَىْ حِيْنَ نَاْجَاْنَا

إِنْ آنَسَ النَّاْرَ بِالْوَاْدِيْ فَقَدْ شَهِدَتْ ... عَيْنِيْ مِنَ اللَّهَبِ الْقُدْسِيِّ نِيْرَاْنَا

نُطِلُّ مِنْ أُفُقِ الدُّنْيَا عَلَىْ غَدِهَاْ ... فَتَنْجَلِيْ الرَّاْسِيَاْتُ الشُّمُّ كُثْبَاْنَا

وَمَاْ دَهَتْنَاْ مِنَ الْجَبَّاْرِ عَاْدِيَةٌ ... إِلاّ جَزَيْنَاْ عَلَىْ الطُّغْيَاْنِ طُغْيَاْنَا

أَدِيْمُ حَصْبَاْئِنَاْ دُرٌّ وَغَاْلِيَةٌ ... مَاْ أَفْقَرَ النَّاْسَ لِلنُّعْمَىْ وَأَغْنَاْنَا

وَأَيُّ نُعْمَىْ نُرَجِّيْهَا لَدَى بَشَرٍ ... وَاللهُ قَرَّبَنَاْ مِنْهُ وَأَدْنَاْنَا

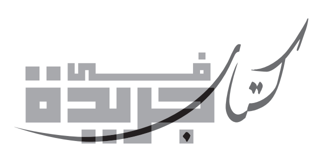
يُمْنَى السَّرَاْبِ عَلَى الصَّحْرَاْءِ حَاْنِيَةً ... تُضَاْحِكُ الرَّكْبَ وَاْحَاْتٍ وَغُدْرَاْنَا

قَاْعُ الْبِحَاْرِ أَضَاْءَتْهُ عَرَاْئِسُنَا ... وَنَدَّتِ الْعَدَمَ الْقَاْسِيْ عَذَاْرَاْنَا

وَهَمُّ كُلِّ عُفَاْةِ الأَرْضِ نَحْمِلُهُ ... كَأَنَّنَاْ أَهْلُهُ هَمَّاً وَحِرْمَاْنَا

يَفْنَى الْجَمِيْعُ وَيَبْقَى اللهُ مُنْفَرِدَاً ... فَلاْ أَنِيْسَ لِنُوْرِ اللهِ لَوْلاْنَا

لَنَاْ كِلَيْنَا بَقَاْءٌ لا انْتِهَاْءَ لَهُ ... وَسَوْفَ يَشْكُوْ الْخُلُوْدَ الْمُرَّ أَبْقَاْنَا



هجو الطغاة

من قصيدة «كافور»

كَـافُوْرُ قَـدْ جُـنَّ الـزَّمَـاْنُ وَإِلَـيْـكَ آلَ الصَّـوْلَـجَـاْنُ
كَـاْفُوْرُ جَمِّعْ حَوْلَ عَرْشِكَ كُلَّ مَنْ حَقَدُوا وَهَاْنُوا
حَـرِّكْ دِمَـاْكَ فَـإِنْ أَرَدْتَ قَـسْـواْ وَإِنْ آثَـرْتَ لاَنُـوا
الْـخَـاْضِـعُـوْنَ لِـمَـاْ تَـشَـاْءُ وَمَـاْ دَرَّوْهُ وَمَـا اسْـتَـبَـاْنُوا

أَشْـبَـعْـتَ بِـالْـخُـطَـبِ الْـجِـيَـاْعَ فَـكُـلُّ هَـاْدِرَةٍ خِـوَاْنُ
خُـطَـبٌ مُـصَـبَّـغَـةٌ وَتُـعْـرَفُ مِـنْ مَـبَـاْذِلِـهَـا الْـقِـيَـاْنُ
مِـنْ كُـلِّ عَـاْهِـرَةٍ وَتَـحْـلِـفُ أَنَّـهَـا الْـخُـوْدُ الْـحِـصَـاْنُ
إِلْـحَـنْ وَكَـرِّرْ مَـا تَـشَـاْءَ فَـإِنَّـهَـا الْـخُـطَـبُ الْـحِـسَـاْنُ
وَإِذَاْ رَطَـنْـتَ فَـإِنَّـهَـا عَـرْبَـاْءُ خَـاْلِـصَـةٌ هِـجَـاْنُ
كَـاْفُوْرُ قَدْ عَنَتِ الْوُجُوْهُ فَكَيْفَ لاْ يَعْنُوْ الْبَيَاْنُ ؟

الْـفِـكْـرُ مِـنْ صَـرْعَـى هَـوَاْكَ وَمِـنْ ضَـحَـاْيَـاْكَ الْـحَـنَـاْنُ
حُـشِـدَتْ لِـطَـلْـعَـتِـكَ الْـجُـمُـوْعُ فَـهُـوِّنَ الْـخَـبَـرُ الْـعِـيَـاْنُ
هَـتَـفُـوا فَـبَـيْـنَ شِـفَـاْهِـهِـمْ وَقُـلُـوْبِـهِـمْ حَـرْبٌ عَـوَاْنُ
غَـرْثَـى وَيُـتْـخَـمُ مِـنْ لُـحُـوْمِ الأَبْـرِيَـاْءِ الْـخَـيْـزَرَاْنُ
عَـضَّـتْ ظُـهُـوْرَهُـمُ السِّـيَـاْطُ فَـكُـلُّ سُـوْطٍ أُفْـعُـوَاْنُ
الـرَّاْكِـعُـوْنَ، السَّـاْجِـدُوْنَ عَـنَـوا لِـوَجْـهِـكَ وَاسْـتَـكَـاْنُـوا
الْـجَـاْئِـعُـوْنَ وَزَرْعُـهُـمْ لَـكَ وَالْـمَـنَـاْهِـلُ وَالْـجِـنَـاْنُ
الْـقَـاْطِـفُـوْنَ كُـرُوْمَـهُـمْ وَلَـكَ السُّـلاَفَـةُ وَالـدِّنَـاْنُ
الـظَّـاْمِـئُـوْنَ وَيَـوْمُـهُـمْ شَـرِسُ الْـهَـوَاْجِـرِ إِضْـحِـيَـاْنُ
لَـكَ عُـذْرَةَ الْـعُـرْسِ الْـحَـزِيْـنِ فَـمَـاْ تُـعَـزُّ وَلاْ تُـصَـاْنُ
وَلَـكَ الـظِّـلاَلُ فَـبَـعْـضُ جُـوْدِكَ أَنْ يُـفَـيِّـئَـهُـمْ مَـكَـاْنُ
وَلَـكَ الْـعِـبَـاْدَةُ لاْ لِـغَـيْـرِكَ وَالـتَّـشَـهُّـدُ وَالأَذَاْنُ
كَـاْفُوْرُ أَنْتَ خَلَقْتَهُمْ كُوْنُوا – هَتَفْتَ بِهِمْ – فَكَاْنُوا
يَـا مُـكْـرِمَ الْـغُـرَبَـاْءِ وَالْـعَـرَبِـيُّ مُـحْـتَـقَـرٌ ... مُـهَـاْنُ
تَـاْرِيْـخُ قَـوْمِـي فِـيْ يَـدَيْـكَ يَـدَاْنُ حَـسْـبُـكَ مَـاْ يُـدَاْنُ
زَوَّرْتَـهُ وَسَـطَـاْ عَـلَـى الأَقْـدَاْسِ أَرْعَـنُ أُلْـعُـبَـاْنُ
يَـا عَـبْـقَـرِيَّ الـظُّـلْـمِ فِـيْـهِ لَـكَ ابْـتِـدَاْعٌ وَافْـتِـنَـاْنُ

نَـحْـنُ الْـعَـبِـيْـدُ فَـلاْ تُـحَـرِّكُـنَـا الضَّـغِـيْـنَـةُ وَالـلِّـعَـاْنُ
وَالـذُّلُّ أَطْـيَـاْبُ الْـعَـبِـيْـدِ فَـمَـا الـبَـخُـوْرُ وَمَـا الـلُّـبَـاْنُ
وَالـظُّـلْـمُ مِـنْ طَـبْـعِ الْـجَـبَـاْنِ وَكُـلُّ طَـاْغِـيَـةٍ جَـبَـاْنُ

يَـاْ أَيُّـهَـا الصَّـنَـمُ الْـمُـدِلُّ فَـمَـا مُـنَـاْهُ وَمَـا الْـمُـدَاْنُ
إِنْ الَّـــهُـوْكَ فَـرُبَّـمَـا فَـضَـحَ الأُلُـوْهَـةَ ثُـعْـلُـبَـاْنُ

كَـاْفُوْرُ طَـاْغِـيَـةٌ وَفِـيْ بَـعْـضِ الْـمَـشَـاْهِـدِ بَـهْـلَـوَاْنُ
مَنْ أَنْتَ؟ فِيْ الْحَلَبَاْتِ تَقْحَمُهَا إِذَاْ احْتَدَمَ الرِّهَاْنُ
مَنْ أَنْتَ؟ عَاْصِفَةٌ وَتَذْهَبُ مِثْلَمَا انْقَشَعَ الدُّخَاْنُ
مَنْ أَنْتَ؟ لا الْمَجْدُ الأَصِيْلُ وَلاْ شَمَاْئِلُهُ اللِّدَاْنُ
مَنْ أَنْتَ؟ .. إِنْ ذُكِرَ الْعِظَاْمُ وَرَنَّحَ الدُّنْيَا افْتِنَاْنُ
مَنْ أَنْتَ؟ .. لَوْلاْ صَوْلَةُ الطُّغْيَاْنِ ، أَنْتَ إِذَنْ فُلاَنُ

كَـاْفُـوْرُ عَـرْشُـكَ لِـلْـفَـنَـاْءِ وَرُبَّـمَـا آنَ الأَوَاْنُ
الْـخَـاْلِـدَاْنِ – وَلاْ أَعُـدُّ الشَّـمْـسَ – شِـعْـرِي وَالـزَّمَـاْنُ



الحزن المحجب

من قصيدة «البلبل الغريب»

سَلِي الْجَمْرَ هَلْ غَالَى وَجُنَّ وَعَذَّبَا   كَفَرْتُ بِهِ حَتَّى يَشُوقَ وَيَعْذُبَا
وَلاْ تَحْرِمِيْنِي جَذْوَةً بَعْدَ جَذْوَةٍ   فَمَا اخْضَلَّ هَذَا الْقَلْبُ حَتَّى تَلَهَّبَا
وَمَاْ نَالَ مَعْنَى الْقَلْبِ إلاَّ لأَنَّهُ   تَمَرَّغَ فِيْ سَكْبِ اللَّظَى وَتَقَلَّبَا
هَبِيْنِي حُزْنَاً لَمْ يَمُرَّ بِمُهْجَةٍ   فَمَاْ كُنْتُ أَرْضَى مِنْكِ حُزْنَاً مُجَرَّبَاْ
وَصُوْغِيْهِ لِيْ وَحْدِيْ فَرِيْدَاً وَأَشْفِقِيْ   عَلَى سِرِّهِ الْمَكْنُوْنِ أَنْ يَتَسَرَّبَاْ
وَصُوْغِيْهِ مَشْبُوْبَ اللَّظَى وَتَخَيَّرِيْ   لآلامِهِ مَاْ كَاْنَ أَقْسَى وَأَغْرَبَا
فَمَا الْحُزْنُ إلاَّ كَالْجَمَاْلِ، أُحِبُّهُ   وَأَتْرَفُهُ، مَا كَاْنَ أَنْأَى وَأَصْعَبَا
وَبَعْضُ الْهَوَى كَالْغَيْثِ إنْ فَاْضَ يَأْتَلِقْ   وَبَعْضُ الْهَوَى كَالْغَيْثِ إنْ فَاْضَ خَرَّبَا
أَرَى طَيْفَكِ الْمَعْسُوْلَ فِيْ كُلِّ مَاْ أَرَى   وَجَدْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْهُ مَهْرَبَا
سَقَانِي الْهَوَى كَأْسَيْنِ : يَأْسَاً وَنِعْمَةً   فَيَالَكَ مِنْ طَيْفٍ أَرَاْحَ وَأَتْعَبَا
وَنَاْوَلَنِي مِنْ أَرْزِ لُبْنَاْنَ نَفْحَةً   فَعَطَّرَ أَحْزَاْنِي وَنَدَّى وَخَضَّبَا
وَثَنَّى بِرَيَّا الْغُوْطَتَيْنِ يُذِيْعُهَا   فَهَدْهَدَ أَحْلامِي وَأَغْلَى وَطَيَّبَا
وَهَلْ دَلَّلَتْ لِي الْغُوْطَتَاْنِ لُبَانَةً   أَحَبَّ مِنَ النُّعْمَى وَأَحْلَى وَأَعْذَبَا
وَسِيْمَاً مِنَ الأَطْفَاْلِ لَوْلاهُ لَمْ أَخَفْ   عَلَى الشَّيْبِ - أَنْ أَنْأَى وَأَنْ أَتَغَرَّبَا
تَوَدُّ النُّجُوْمُ الزُّهْرُ لَوْ أَنَّهَا دُمَىً   لِيَخْتَارَ مِنْهَا الْمُتْرَفَاتِ وَيَلْعَبَا
وَعِنْدِي كُنُوْزٌ مِنْ حَنَاْنٍ وَرَحْمَةٍ   نَعِيْمِي أَنْ يُغْرَى بِهِنَّ وَيَنْهَبَا
يَجُوْرُ وَبَعْضُ الْجَوْرِ حُلْوٌ مُحَبَّبٌ   وَلَمْ أَرَ قَبْلَ الطِّفْلِ ظُلْمَاً مُحَبَّبَا
وَيَغْضَبُ أَحْيَانَاً وَيَرْضَى وَحَسْبُنَاْ   مِنَ الصَّفْوِ أَنْ يَرْضَى عَلَيْنَا وَيَغْضَبَا
وَيُوْجِزُ فِيْمَا يَشْتَهِي وَكَأَنَّهُ   بِإيْجَاْزِهِ دَلاًّ أَعَاْدَ وَأَسْهَبَا
يَزُفُّ لَنَا الأَعْيَاْدَ عِيْدَاً إذَا خَطَا   وَعِيْدَاً إذَا نَاْغَى وَعِيْدَاً إذَا حَبَا
كَزُغْبِ الْقَطَا لَوْ أَنَّهُ رَاْحَ صَاْدِيَاً   سَكَبْتُ لَهُ عَيْنِي وَقَلْبِي لِيَشْرَبَا
تَدَلَّهْتُ بِالإيْثَاْرِ كَهْلاً وَيَافِعَاً   فَدَلَّلْتُهُ جَدَّاً وَأَرْضَيْتُهُ أَبَا
وَتَخْفِقُ فِي قَلْبِي قُلُوْبٌ عَدِيْدَةٌ   لَقَدْ كَاْنَ شَعْبَاً وَاحِدَاً فَتَشَعَّبَا

وَيَاْ رَبِّ مِنْ أَجْلِ الطُّفُوْلَةِ وَحْدَهَا   أَفِضْ بَرَكَاتِ السِّلْمِ شَرْقَاً وَمَغْرِبَا
وَرُدَّ الأَذَى عَنْ كُلِّ شَعْبٍ وَإنْ يَكُنْ   كَفُوْرَاً وَأَحْبِبْهُ وَإنْ كَاْنَ مُذْنِبَا
وَصُنْ ضِحْكَةَ الأَطْفَاْلِ يَاْ رَبُّ إنَّهَا   إذَا غَرَّدَتْ فِيْ مُوْحِشِ الرَّمْلِ أَعْشَبَا
مَلائِكُ لا الْجَنَّاْتُ أَنْجَبْنَ مِثْلَهُمْ   وَلاْ خُلْدُهَا - أَسْتَغْفِرُ اللهَ - أَنْجَبَا
وَيَاْ رَبِّ حَبِّبْ كُلَّ طِفْلٍ فَلا يَرَى   وَإنْ لَجَّ فِي الإعْنَاْتِ وَجْهَاً مُقَطِّبَا
وَهَيِّئْ لَهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ صَبَابَةً   وَفِي كُلِّ لُقْيَا مَرْحَبَاً ثُمَّ مَرْحَبَا
وَيَا رَبِّ : إنَّ الْقَلْبَ مِلْكُكَ إنْ تَشَأْ   رَدَدْتَ مَحِيْلَ الْقَلْبِ رَيَّاْنَ مُخْصِبَا

وَيَا رَبِّ هَذِي مُهْجَتِي وَجِرَاْحُهَا   سَيَبْقَيْنَ إلاّ عَنْكَ سِرَّاً مُحَجَّبَا
وَيَا رَبِّ أَحْزَاْنِي وِضَاْءٌ كَأَنَّنِيْ   سَكَبْتُ عَلَيْهِنَّ الأَصِيْلَ الْمُذَهَّبَا
تَرَصَّدَ نَجْمُ الصُّبْحِ مِنْهُنَّ نَظْرَةً   وَ أَشْرَفَ مِنْ عَلْيَائِهِ وَتَرَقَّبَا
فَأَرْخَيْتُ آلافَ السُّتُوْرِ كَأَنَّنِيْ   أَمُدُّ عَلَى حَاْلٍ مِنَ النُّوْرِ غَيْهَبَا
وَقَدْ تُبْهِرُ الأَحْزَاْنُ وَهْيَ سَوَافِرٌ   وَلَكِنَّ أَحْلاهُنَّ حُزْنٌ تَنَقَّبَا

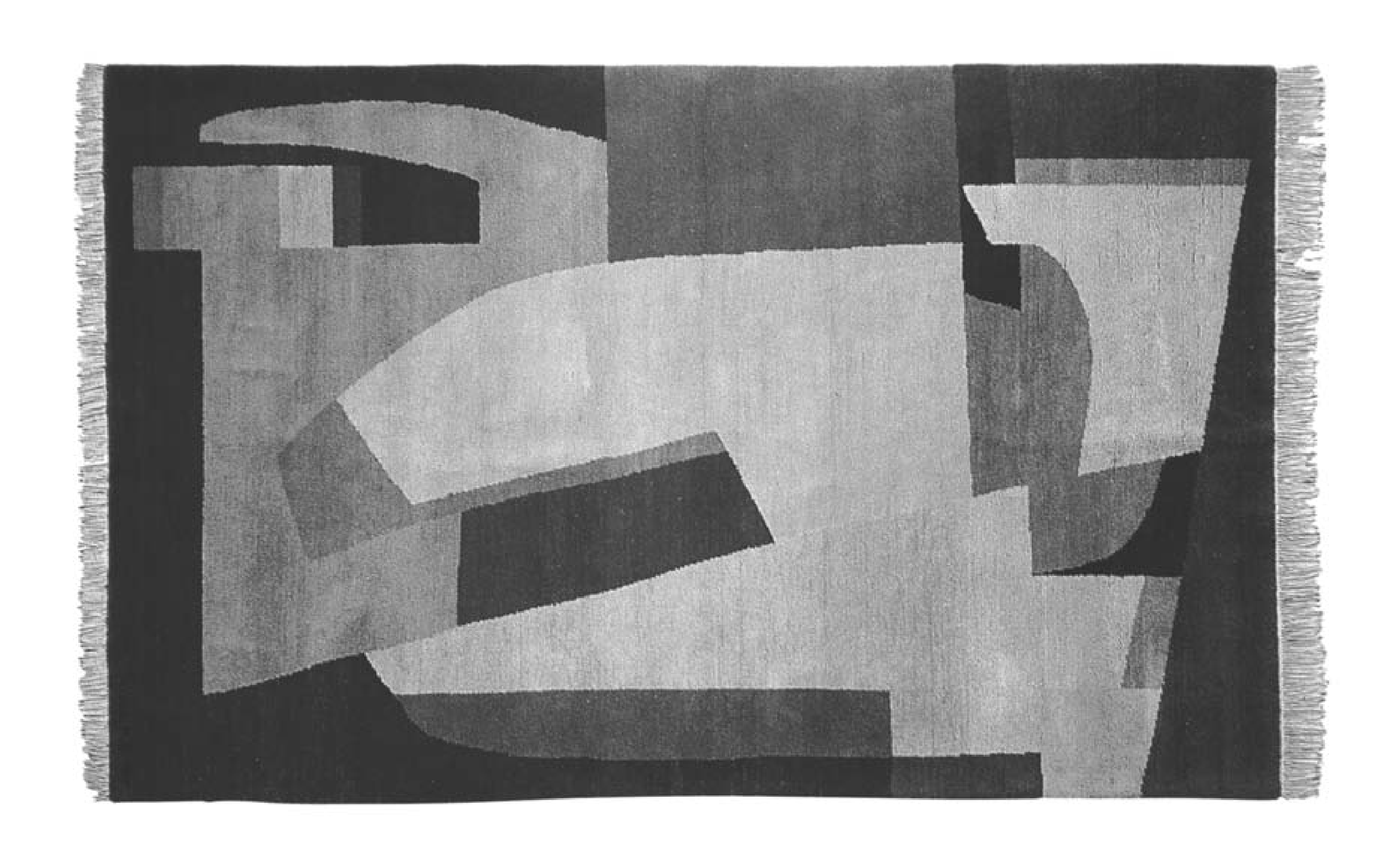
الفتنة الخلاقة !

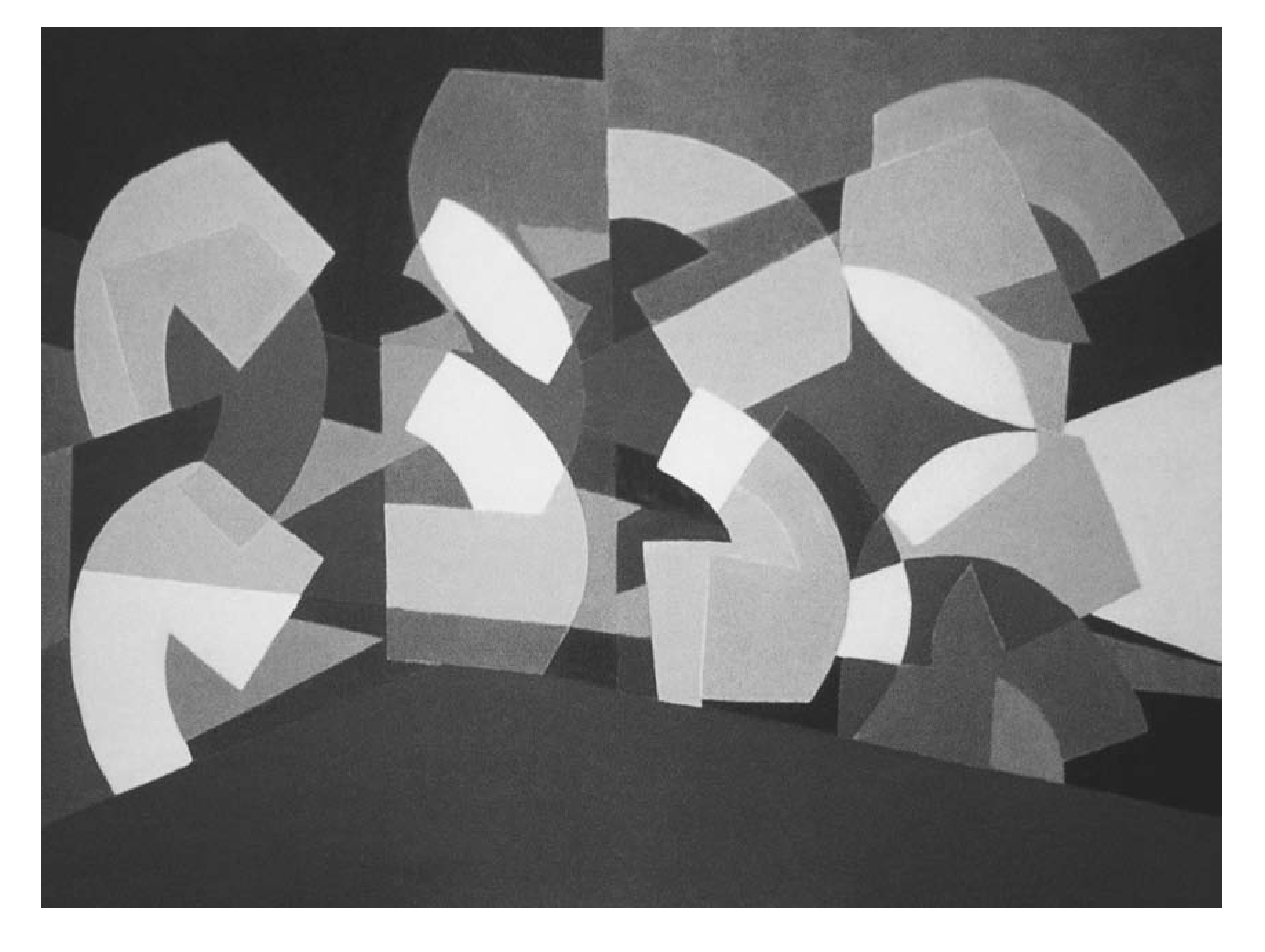
من قصيدة «اللهب القدسي»

يُحِبُّ قَلْبِي خَبَايَاهُ وَيَعْبُدُهَا   إذا تبرّأ قَلْبٌ مِنْ خَبَايَاهُ
طُفُوْلَةُ الرُّوحِ أَغْلَى مَا أدِلُّ بِهِ   و الْحُبُّ أَعْنَفُهُ عِنْدِي وَأَوْفَاهُ
قَلْبِي الذي لَوَّنَ الدُّنْيَا بِجَذْوَتِهِ   أَحْلَى مِنَ النُّوْرِ نُعْمَاهُ وَبُؤْسَاهُ
غِرٌّ و أَرْفَعُ مَا فِيْهِ غَرَاْرَتُهُ   وَأَنْذَلُ الْحُبِّ - جَلَّ الْحُبّ - أَدْهَاهُ
مَا الْحُسْنُ إلاّ لُبَانَاْتٌ مُنَمَّقَةٌ   لَكِنْ يُؤلِهُهُ أَنَّا عَشِقْنَاْهُ

آمَنْتُ بِاللَّهَبِ الْقُدْسِيِّ مُضْرِمُهُ   أَذْكَى الأُلُوْهَةَ فِيْنَا حِيْنَ أَذْكَاْهُ
نُزَيِّنُ الرُّوحَ قُرْبَانَاً لِفِتْنَتِهِ   وَقَدْ يَضِنُّ فَتُسْتَجْدَى مَنَاْيَاْهُ
أَلْعَبْقَرِيَّاْتُ وَهْجٌ مِنْ لَوَافِحِهِ   وَالشَّمْسُ مَجْلُوَّةٌ إحْدَى هَدَايَاهُ
وَتَائِهِيْنَ بِهَدْيٍ مِنْ عُقُوْلِهِمُ   لَوْ يَمَّمُوا اللَّهَبَ الْقُدْسِيَّ مَاْ تَاهُوا
إنْ نَحْمِلَ الْحُزْنَ لاْ شَكْوَى وَلاْ مَلَلٌ   غَدْرُ الأَحِبَّةِ حُزْنٌ مَا احْتَمَلْنَاهُ
وَمَا رَعَانَاْ عَلَى عَصْفِ الْخُطُوبِ بِنَاْ   هَوَى حَبِيْبٍ رَعَيْنَاْهُ وَنَرْعَاْهُ
لَيْتَ الذِيْنَ وَهَبْنَاهُمْ سَرَائِرَنَاْ   فِيْ زَحْمَةِ الْخَطْبِ أَغْلَوا مَا وَهَبْنَاْهُ
وَلاْ وَفَاءَ لِقَلْبٍ حِيْنَ نُؤْثِرُهُ   حَتَّى تَكُوْنَ رَزَاْيَاْنَا رَزَاْيَاْهُ
أَشَاْمِتٌ عِنْدَ جُلاَّنَاْ وَمَاْ نَزَلَتْ   إلاَّ عَلَى الْحُبِّ وَالإيْثَاْرِ جُلاَّهُ
هَاْنٍ وَمِحْنَتِي الْعَصْمَاْءُ دَاْمِيَةٌ   رَاْوٍ وَمِنْ لَوْعَتِي الشَّمّاْءِ سُقْيَاْهُ
مَاْ ضَجَّ فِي قَلْبِهِ جُرْحٌ فَكَاْبَدَهُ   وَلاًّ أَلَمَّ بِهِ وَجْدٌ فَعَاْنَاْهُ
تَضِنُّ بِاللَّهْفَةِ الْحَرَّى جَوَاْنِحُهُ   وَالْقَلْبُ أَخْضَبُهُ بِالنُّوْرِ أَسْخَاْهُ
فَمَاْ تَرَشَّفْتُ إيْمَاْنَاً بِمَعْبَدِهِ   وَلاْ شَمَمْتُ طُيُوْبَاً فِي مُصَلاَّهُ
نَاْءٍ عَنِ النَّارِ لَوْ طَاْفَ اللَّهِيْبُ بِهِ   لَوَهَّجَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا شَظَاْيَاْهُ
قَدْ هَاْنَ حَتَّى سَمَتْ عَنْهُ ضَغِيْنَتُنَاْ   فَمَاْ حَقَدْنَاْ عَلَيْهِ بَلْ رَحِمْنَاْهُ
يُرْضِيْهِ أَنْ يَتَشَفَّى مِنْ مَدَاْمِعِنَا   لَمْ نَبْكِ مِنْهُ وَلَكِنَّا بَكَيْنَاْهُ
حَسْبُ الأَحِبَّةِ ذُلاًّ عَاْرُ غَدْرِهِمُ   وَحَسْبُنَاْ عِزَّةً أَنّا غَفَرْنَاْهُ
يَهْنِيْكَ أَنَّكَ فِيْ نُعْمَى لِمِحْنَتِهِ   و أَنَّ غَدْرَكَ قَبْلَ الدَّهْرِ أَشْقَاْهُ
جَاْهٌ خَلَقْنَاْهُ مِنْ أَلْوَاْنِ قُدْرَتِنَاْ   فَكَيْفَ يَكْفُرُ فِيْنَاْ مَنْ خَلَقْنَاْهُ
لَوْ رَفَّ حُبُّكَ فِي بَيْدَاْءَ لاهِبَةٍ   عَلَى الظَمَاْءِ رَحِيْقَاً مَاْ وَرَدْنَاْهُ
جَلَوْتُ طَيْفَكَ عَنْ عَيْنِي فَأَسْلَمَهُ   إلَى الدُّجَى وَإلَى الإعْصَاْرِ مَأْوَاْهُ
فَيَا لَكَنْزٍ شَكَتْ مِنْهُ جَوَاهِرُهُ   وَضَاْعَ عَنْ نَفْسِهِ لَمَّاْ أَضَعْنَاْهُ







أسمال الغريب

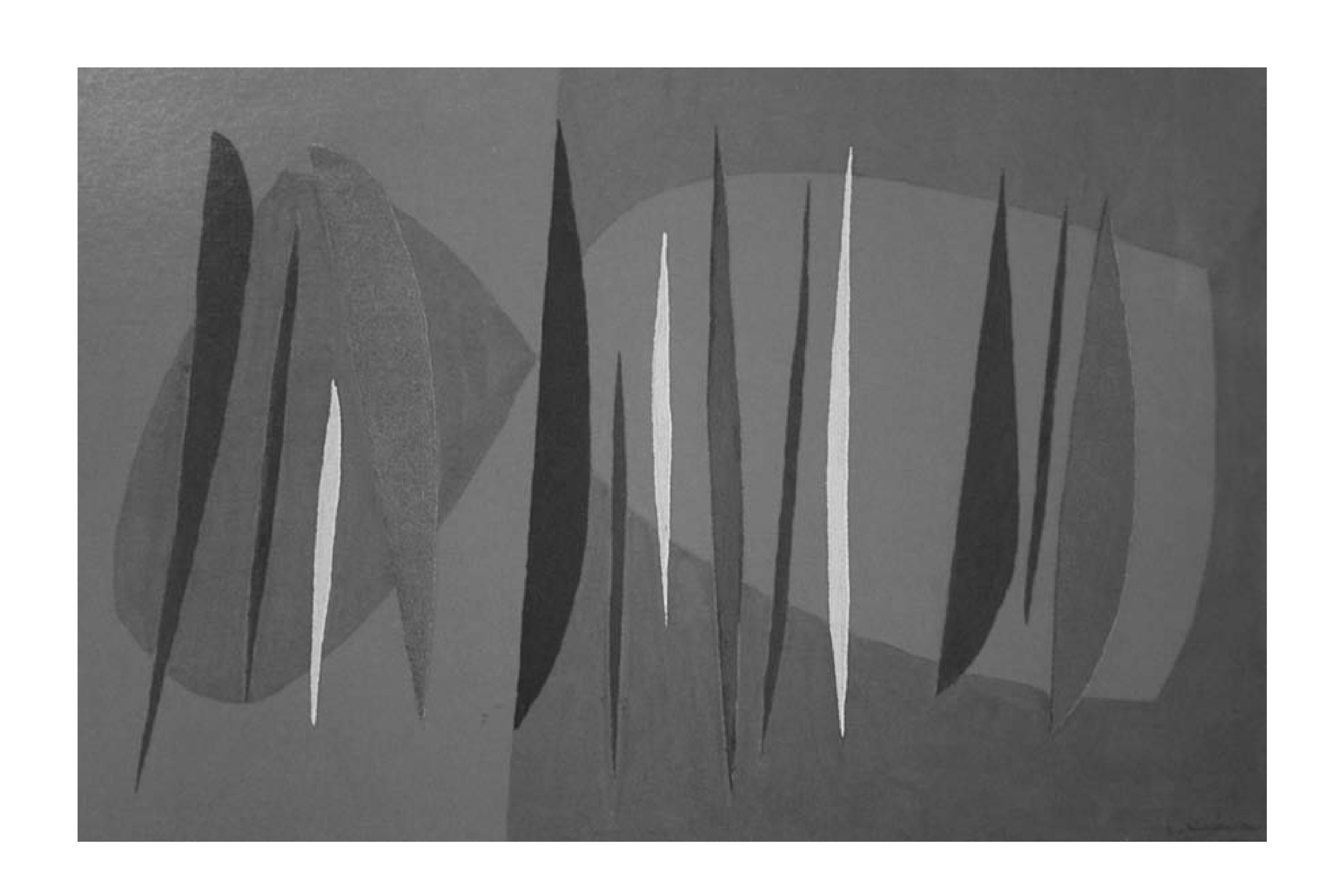
من قصيدة «ما شأن هذا الأشعث الجواب»

هَلْ عِنْدَ أَنْجُمِكَ الضَّوَاحِكِ مَا بِي   يَا لَيْلَ إِشْرَاكِي وَصُبْحَ مَتَابِي
طَهَّرْتُ آثَامِي الْبَرِيئَةَ فِي لُظَى   قُبَلٍ كَأَحْلَامِ النَّعِيْمِ عِذَابِ
فَأَدِرْ عَلَيَّ سُلَافَ رِيقِكَ وَاسْقِنِي   وَاسْقِ النَّدِيْمَ سُلَافَةَ الأَعْنَابِ
وَإِذَا عَتَبْتُ عَلَى لُمَاكَ فَرُبَّمَا   سَمَحَ الْحَبِيْبُ بِرَشْفَةِ الأَعْتَابِ
وَسَّدْتُكَ الْيُمْنَى لَعَلِّي فِي غَدٍ   أَرُدُّ الْحِسَابَ وَوَجْنَتَاكَ كِتَابِي
وَنَعَمْتُ أَلْمَحُ فِي جُفُونِكَ رَغْبَةً   خَجْلَى صَرِيْعَةَ نَشْوَةٍ وَدُعَابِ
لَا تَغْفُ تَحْلُمُ بِالنُّجُوْمِ فَيَرْتَمِي   مِنْهَا لِرَشْفِ لُمَاكَ أَلْفُ شِهَابِ
لَا تَغْفُ وَأْثَمْ فِي هَوَاكَ وَلَا تَخَفْ   نُسْكِي أَمَانُكَ فِي غَدٍ وَثَوَابِي

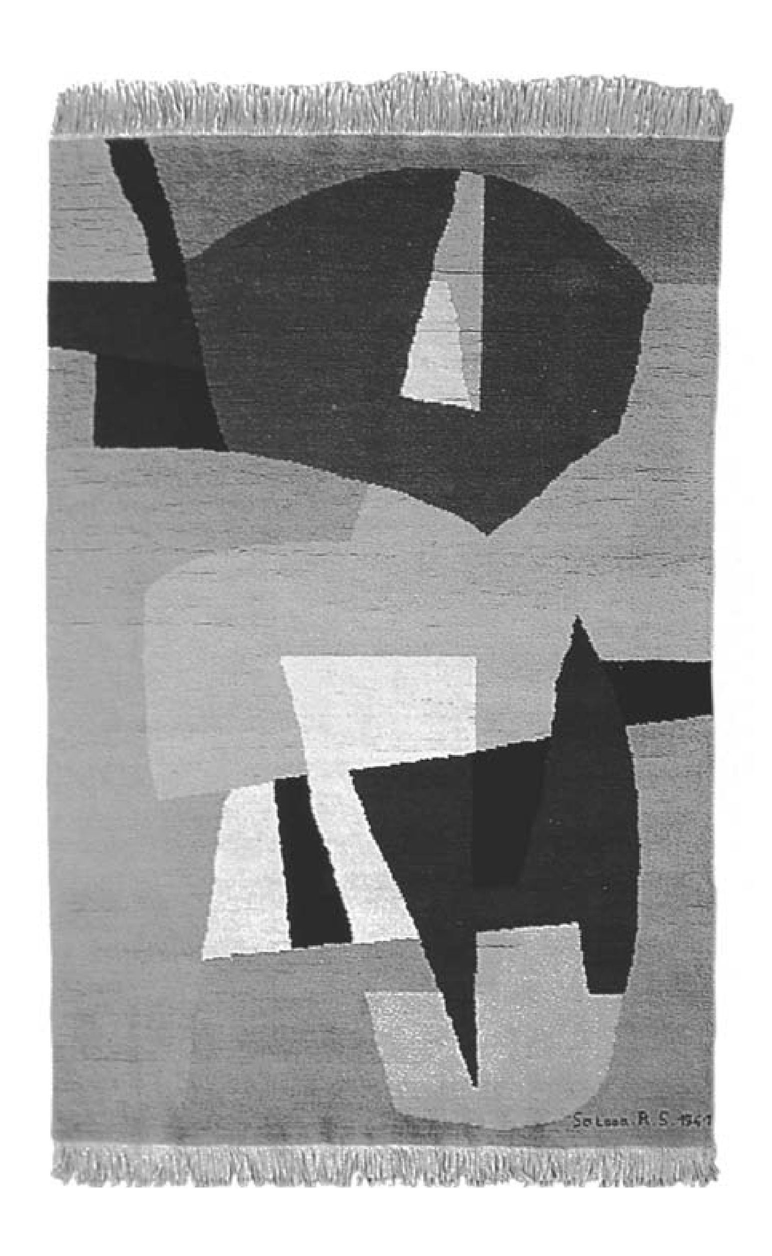
مَرْحَى وَفِي عَيْنَيْكَ مِنْ صُوَرِ الْهَوَى   مَا لَا يُعَدُّ وَمِنْ رُؤَى الأَحْبَابِ
جُبْتُ الظَّلَامَ فَلَمْ أَدَعْ مِنْ دُجْنَةٍ   إِلَّا غَدَائِرَ شَعْرِكَ الْمُنْجَابِ
وَلَقَدْ تَبَيَّنْتُ الْهَوَى لَمْ يُخْفِهِ   فِي مَخْدَعِ الشَّهَوَاتِ أَلْفُ نِقَابِ
فِي ذِمَّةِ الذِّكْرَى بَقَايَا لَيْلَةٍ   عُرْيَانَةٍ مَجْنُونَةِ الآرَابِ

وَسَخَرْتُ بِالأَوْهَامِ عَصْرَ شَبِيْبَتِي   وَحَسِبْتُ فَيْضَ الْمَاءِ لَمْعَ سَرَابِ
فَالْيَوْمَ تَخْشَعُ لِلْخَرَافَةِ حِكْمَتِي   وَيَطُوفُ حَوْلَ قِبَابِهَا إِعْجَابِي
وَأَرَى بِهِ طَيْفَ الْحَقِيْقَةِ كَامِنًا   خَلْفَ الْحِجَابِ وَلَاتَ حِيْنَ حِجَابِ
قَتَلَتْ هَوَايَ وَحِكْمَتِي وَتَجَارِبِي   فَأَنَا الشَّهِيْدُ وَهَذِهِ أَسْلَابِي

وَحَمَلْتُ أَسْمَالِي إِلَيْكَ وَشَافِعِي   لِهَوَى فَتَاتِكَ غُرْبَتِي وَعَذَابِي
فَاسْخَرْ بِإِدْلَالِي عَلَيْكَ وَقُلْ لَهَا :   مَا شَأْنُ هَذَا الأَشْعَثِ الْجَوَّابِ ؟







وريث مازوخ

من قصيدة «آلام... »

أَلِفْتُ حَرَّكِ لاْ شَكْوَىْ وَلاْ سَهَدُ
يَاْ جَمْرَةً فِيْ حَنَاْيَا الصَّدْرِ تَتَّقِدُ

مُرِّيْ عَلَىْ كَبِدِيْ حَمْرَاْءَ دَاْمِيَةً
يَبْقَى الْحَنِيْنُ إِذَاْ لَمْ تَسْلَمِ الْكَبِدُ

إِنِّي أُدَلِّلُ آلامِيْ وَأَمْسَحُهَاْ
مَسْحَ الشَّفِيْقِ وَأَجْلُوْهَا وَأَنْتَقِدُ

حَتَّىْ تُطِلَّ عَلَى الدُّنْيَا بِزِيْنَتِهَا
حَسْنَاْءَ تَبْدُوْ عَلَيْهَا نِعْمَةٌ وَدَدُ

بَعْضُ الْخُطُوْبِ ظَلامٌ لاْ صَبَاْحَ لَهُ
وَبَعْضُهَا الْفَجْرُ فَيْهِ النُّوْرُ وَالرَّشَدُ

وَمُدْلِجِيْنَ أَضَاْءَ الْحُزْنُ لَيْلَهُمُ
إِذَا انْطَفَأَتْ أَحْزَاْنُهُمْ قَعَدُوا

حَاْدُوا عَنِ الْمِحْنَةِ الْكُبْرَىْ وَلَوْ صَحِبُوا
نِيْرَاْنَهَا الْحُمْرَ مَا ضَلُّوا وَلا انْفَرَدُوا

فِيْمَ التَّنَكُّرُ لِلآلامِ قَاْسِيَةً
إِذَاْ تَبَاْعَدَ فِيْ مَيْدَاْنِهَا الأَمَدُ

أَلطَّاْلِعُوْنَ عَلَى الدُّنْيَا بِنَصْرِهِمُ
لَوْلاْ الْفَوَاْجِعُ هَلْ شَدُّوا وَهَلْ نَهَدُوا

لاْ يُبْعِدُ اللهُ أَحْبَاْبَاً فُجِعْتُ بِهِمْ
وَمَاْ عُلالَةُ قَلْبِيْ بَعْدَمَا بَعُدُوا

النَّاْشِئُوْنَ عَلَىْ نَعْمَاْءَ مُتْرَفَةً
تَقَيَّلُوا الرَّمْلَ فِيْ الصَّحْرَاْءِ وَاتَّسَدُوا

تِلْكَ الْجُسُوْمُ الَّتِيْ حَزَّ الْحَرِيْرُ بِهَا
حَرِيْرَهَا فِيْ الْعَرَاْءِ الْمُوْحِشِ الزَّرَدُ

فِيْ كُلِّ مَنْزِلَةٍ قَبْرٌ تَلِمُّ بِهِ
هُوْجُ الرِّيَاْحِ وَيَنْأَى الأَهْلُ وَالْوَلَدُ

مُشَتَّتِيْنَ فَمِنْ أَجْسَاْدِهِمْ مِزَقٌ
عَلَى الأَدِيْمِ وَمِنْ مُرَّاْنِهِمْ قِصَدُ

يَاْ خَمْرَةَ الْحُزْنِ هَذِيْ الْكَأْسُ مُتْرَعَةٌ
لِلشَّاْرِبِيْنَ وَهَذَا الشَّاْعِرُ الْغَرِدُ

إِنَّ النَّدَاْمَىْ عَلَىْ عَهْدِ الْحَبِيْبِ بِهِمْ
لاْ جَانَبُوا النَّشْوَةَ الْكُبْرَىْ وَلاْ زَهَدُوا

لاْ أَوْحَشَ اللهُ قَلْبِيْ مِنْ مَوَاْجِعِهِ
وَلاْ تَحَوَّلَ عَنْ نَعْمَاْئِهَا الْحَسَدُ

وَلاْ شَفَىْ اللهُ جُرْحَاً فِيْ سَرِيْرَتِهِ
نَدْيَاْنَ يَنْطِفُ مِنْهُ الْخَمْرُ وَالشَّهَدُ

فَجَّرَتُ قَلْبِيْ رِثَاْءً مَاْ وَفَيْنَ بِهِ
حَقَّ الزَّعِيْمِ قَوَاْفٍ كَالضُّحَىْ شُرُدُ

النَّاْقِلاْتُ إِلَىْ الأَجْيَاْلِ مَا ظَلَمُوا
مِنَ الأُبَاْةِ وَمَاْ رَاْعُوا وَمَاْ اضْطَهَدُوا

يَرُوْعُ فِيْ مُقْلَتَيْهِ بَاْرِقٌ عَجَبٌ
وَعَاْلَمٌ عَبْقَرِيُّ السِّحْرِ مُنْفَرِدُ

يُغَاْلِبُ الْبِشْرَ أَسْقَاْمَاً نَزَلْنَ بِهِ
يَأْبَىْ لَهُ الْكِبْرُ أَنْ يَأْسَىْ لَهَاْ أَحَدُ

دَاْءٌ مُلِحٌّ وَنَفْسٌ لاْ تَذِلُّ لَهُ
حَرْبٌ تَكَاْفَأَ فِيْهَا الْبَأْسُ وَالْعَدَدُ

تِلْكَ الْبَشَاْشَةُ أَبْلَى الدَّاْءُ نُضْرَتَهَا
فَرَاْحَ يُلْمَحُ فِيْ نَعْمَاْئِهَاْ الْكَمَدُ

كَالْغَيْمِ يَحْجُبُ حُسْنَ الشَّمْسِ طَاْلِعَةً
وَمَاْ تَحَوَّلَ عَنْهَا الْحُسْنُ وَالرَّأَدُ

نَعِمْتُ مِنْكَ بِسَاْعَاْتٍ مُعَطَّرَةٍ
كَأَنَّهَا الْحُلْمُ دَاْنٍ وَهْوَ مُبْتَعِدُ

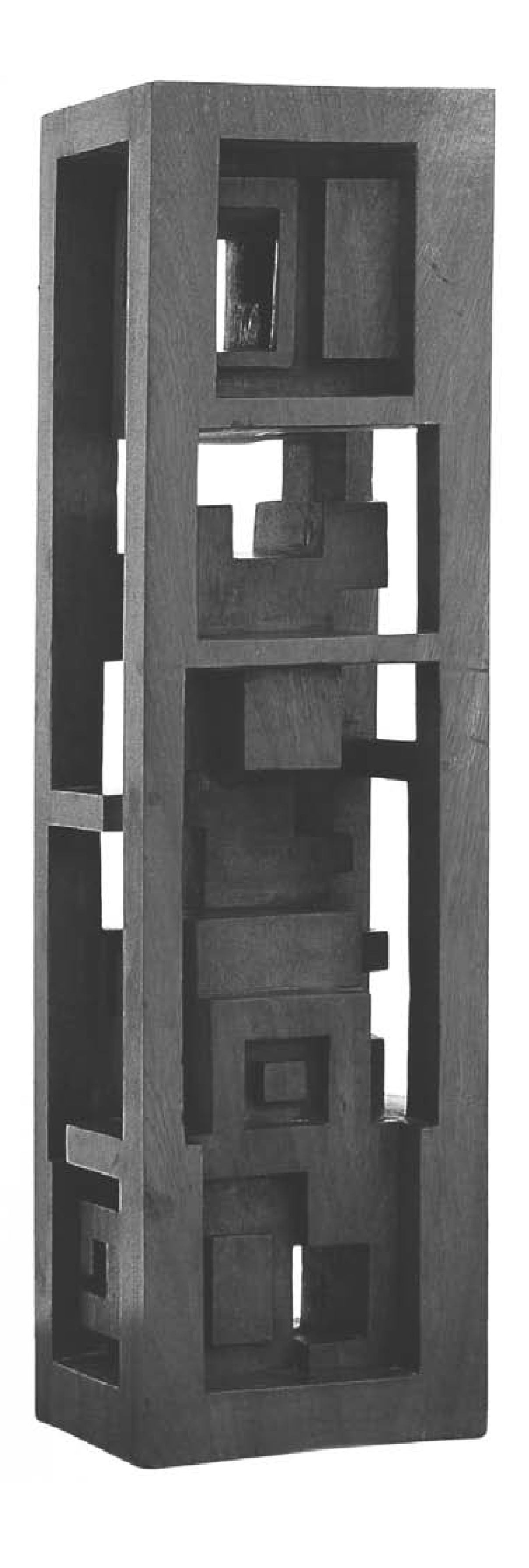
وَصُحْبَةٍ كَقَدِيْمِ الرَّاْحِ لَوْ جُلِيَتْ
لِلْيَاْئِسِيْنَ حُمَيَّا كَأْسِهَا سَعِدُوا

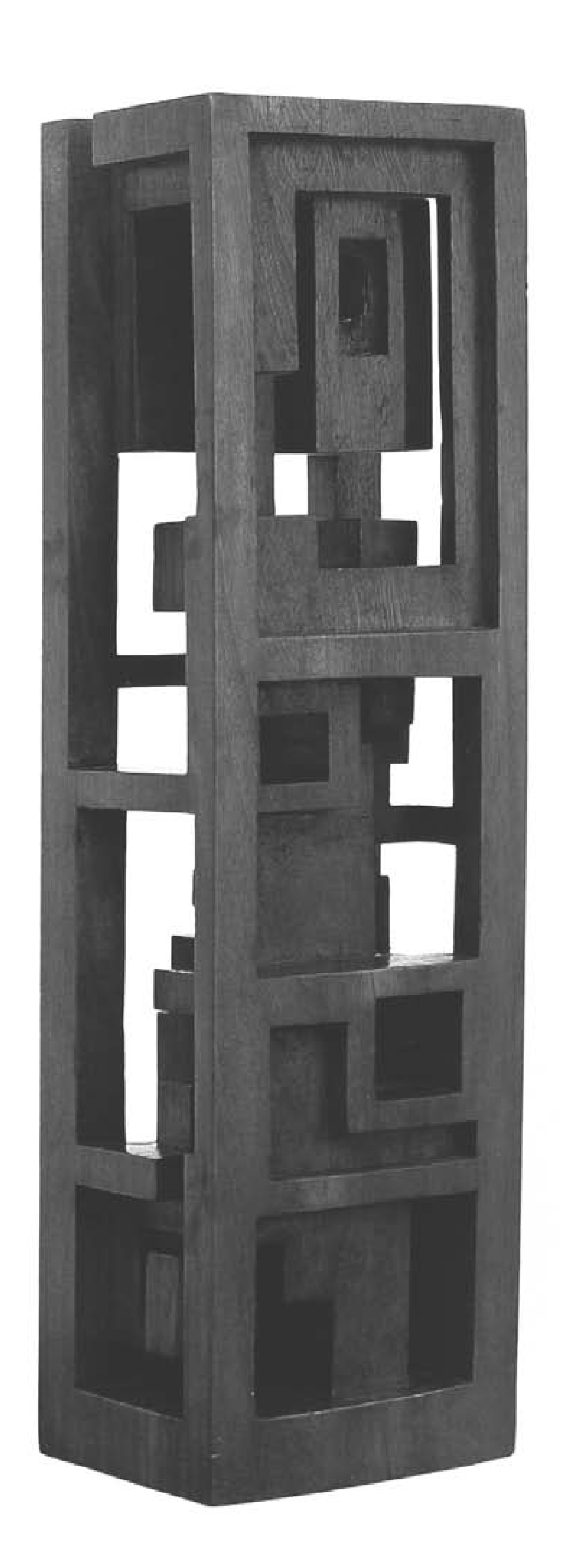
يَاْ هُدْنَةً مِنْ قِرَاْعِ الدَّهْرِ دَاْمِيَةً
أَلاْ يُهَدْهِدُ مِنْ آلامِكِ الأَبَدُ

مَاْلِيْ أَرَىْ الْفَرَسَ الشَّقْرَاْءَ عَاْرِيَةً
عَلَى الْمَرَاْبِطِ لاْ تَطْغَىْ فَتَنْجَرِدُ

آبَ الْمُغِيْرُوْنَ جُنَّتْ خَيْلُهُمْ مَرَحَاً
وَآنَ أَنْ يَسْتَرِيْحَ الْفَاْرِسُ النَّجِدُ







مصباح الأعمى
من قصيدة «إيه حكيم الدّهر – في ذكرى المعري»

غَسَلَ الأَسَى قَلْبِيْ وَحَسْبُكَ بِالأَسَى   مِنْ غَاسِلٍ حِقْدَ الْقُلُوْبِ وَمَاحِي
وَوَدَدْتُ حِيْنَ هَوَى جَنَاحُ حَمَامَةٍ   لَوْ حَلَّقَتْ مِنْ خَافِقِي بِجَنَاحِ

أَعْمَى تَلَفَّتَتِ الْعُصُوْرُ فَمَا رَأَتْ   عِنْدَ الشُّمُوْسِ كَنُوْرِهِ اللَّمَّاحِ
نَفَذَتْ بَصِيْرَتُهُ لأَسْرَارِ الدُّجَى   فَتَبَرَّجَتْ مِنْهَا بِأَلْفِ صَبَاحِ
مَنْ رَاحَ يَحْمِلُ فِي جَوَانِحِهِ الضُّحَى   هَانَتْ عَلَيْهِ أَشِعَّةُ الْمِصْبَاحِ

أَمُصَوِّرُ الدُّنْيَا جَحِيْمَاً فَائِرَاً   يَرْمِي الْعُصُوْرَ بِجَمْرِهِ اللَّفَّاحِ
هَوِّنْ عَلَيكَ فَفِي النُّفُوْسِ بَقِيَّةٌ   مِنْ رَحْمَةٍ وَمُرُوَّةٍ وَسَمَاحِ
خَلْفَ الْهَجِيْرِ وَعُنْفِهِ وَلَهِيْبِهِ   مَا شِئْتَ مِنْ ظِلٍّ وَطِيْبِ نِفَاحِ
ضَجَّتْ مَلائِكَةُ السَّمَاءِ بِسَاخِرٍ   مُرِّ الدُّعَابَةِ شَاتِمٍ مَدَّاحِ
السُّخْرُ فِيْهِ إِذَا أَخَذْتَ بِكُفْرِهِ   كَالسُّخْرِ حِيْنَ تَرَاهُ فِي النُّصَّاحِ
نَكَبَ الْعَقَائِدَ وَالطِّبَاعَ فَيَا لَهَا   فَتَكَاتِ حَتْفٍ كَالْقَضَاءِ مُتَاحِ
وَعَدَاً عَلَى حَرَمِ السَّمَاءِ فَيَا لَهُ   فَتْحَاً أَطَلَّ بِهِ عَلَى الفَتَّاحِ
عَرَّى السَّرَائِرَ وَالنُّفُوْسَ مُمَزِّقَاً   عَنْهُنَّ كُلَّ غِلالَةٍ وَوِشَاحِ
وَجَلاَ الْمَصُوْنَ مِنَ الضَّمَائِرِ فَانْتَهَى   هَمْسُ النُّفُوْسِ لِضَجَّةٍ وَصِيَاحِ
إِنْ يَقْسُ فِي نَقْدِ الطِّبَاعِ فَلَمْ تَكُنْ   تُرْجَى لِرَحْمَتِهَا يَدُ الْجَرَّاحِ
إِيهٍ رَهِيْنَ الْمَحْبَسَيْنِ أَلَمْ يَئِنْ   إِطْلاقُ مَأْسُوْرٍ وَفَكُّ سَرَاحِ
أَتَضِيْقُ بِالأُنْثَى وَحُبُّكَ لَمْ يَضِقْ   بِالْوَحْشِ بَيْنَ سَبَاسِبٍ وَبِطَاحِ

لَيْتَ الْهُمُوْمَ الْعَبْقَرِيَّةَ هَدْهَدَتْ   بِحَنَانِ طَيِّبَةِ اللُّمَى مِمْرَاحِ
مَا أَحْوَجَ الْعَقْلَ الْحَكِيْمَ وَهَمَّهُ   وَسْعَ الْحَيَاةِ لِصَبْوَةٍ وَمِرَاحِ
أُنْثَى إِذَا ضَاقَتْ سَرِيْرَةُ نَفْسِهِ   طَلَعَتْ بِآفَاقٍ عَلَيْهِ فِسَاحِ
لِلْعَبْقَرِيَّةِ قَسْوَةٌ لَوْلا الْهَوَى   عَصَفَتْ بِكُلِّ عَقِيْدَةٍ وَصَلاحِ
مَا لِلشِّرَاعِ عَلَى الْعَوَاصِفِ حِيْلَةٌ   إِنْ لِمْ تُصَرِّفْهُ يَدُ الْمَلاَّحِ

إِيْهٍ حَكِيْمَ الدَّهْرِ أَيُّ مَلِيْحَةٍ   ضَنَّتْ عَلَيْكَ بِعِطْرِهَا الفَوَّاحِ
جَرَحَتْ إِبَاءَكَ وَالْحَيَاءَ فَأَقْفَلا   بَابَ الْمُنَى وَرَمَيْتَ بِالْمُفْتَاحِ
لاْ تُخْفِ حُبَّكَ بِالضَّغِيْنَةِ وَالأَذَى   الْحُبُّ جَوْهَرُ حِقْدِكَ الْمِلْحَاحِ
وَأَطِلْ هِجَاءَكَ مَا تَشَاءُ فَخَلْفَهُ   غُرَرٌ مُنَضَّرَةٌ مِنَ الأَمْدَاحِ
الْعَبْقَرِيَّةُ وَالْجَمَالُ تَحَدَّرَا   مِنْ نَبْعَةٍ وَتَسَلْسَلاْ مِنْ رَاحِ
الظَّالِمَانِ الْمَالِكَانِ وَنِعْمَةٌ   مَا أَسْلَفَا مِنْ زَلَّةٍ وَجُنَاحِ
إِنَّ الَّتِي حَرَمَتْكَ نِعْمَةَ حُبِّهَا   وَأَبِيْكَ عَارُ كَوَاعِبٍ وَمِلاحِ
لَوْ كَانَ فِي يَدِيَ الزَّمَانُ وَسِرُّهُ   وَأَعِنَّةُ الإِمْسَاءِ وَالإِصْبَاحِ
لَنَزَعْتُ فِتْنَتَهَا وَسِحْرَ جُفُوْنِهَا   وَمَحَوْتُ نُوْرَ جَبِيْنِهَا الْوَضَّاحِ
وَنَثَرْتُ جَوْهَرَ ثَغْرِهَا مِنْ عِقْدِهِ   فَصِحَاحُهُ الْعَطِرَاتُ غَيْرُ صِحَاحِ
وَرَدَدْتُ لِلسَّبْعِيْنَ رَيِّقَ عُمْرِهَا   وَالْحَالِيَاتِ مِنَ الصِّبَا الْمِمْرَاحِ
وَجَلَوْتُ مِرْآتِي ... فَنَدَّتْ صَرْخَةٌ   كَلْمَى وَغَطَّتْ خِزْيَهَا بِالرَّاحِ
حَتَّى إِذَا أَتْمَمْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ   أَشْرَفْتُ أَنْظُرُ نَظْرَةَ الْمُرْتَاحِ
فَثَأَرْتُ مِنْ ظُلْمِ الْجَمَالِ وَرُبَّمَا   شَمَتَتْ جِرَاحُ فِي الثَّرَى وَأَضَاحِ
وَإِذَا رَأَيْتُكَ ضِقْتَ فِيْهِ تَنَكَّرَتْ   لِلْجِدِّ مِنْهُ دُعَابَتِي وَمِزَاحِي



ما عدا مما بدا؟

من قصيدة «امّا الشَّباب»

أمَّا الشَّبَابُ فَرُبَّمَا نَادَمْتُهُ   رَيَّانَ مِنْ حُبِّي وَمِنْ عَبَرَاْتِيْ
صَاْحَبْتُهُ عِشْرِيْنَ أذْنِبُ فِيْ الْهَوَى   دَلاًّ وَتَغْتَفِرُ الْمِلاحُ هِنَاْتِيْ
قَصُرَتْ لَيَاْلِيْهِ وَكُلٌّ قَصِيْرَةٍ   فِي الطَّيِّبَاْتِ عَرِيْضَةُ اللّذَّاتِ
فِيْ ذِمَّةِ الْحَدَقِ الْمِرَاْضِ عُهُوْدُهُ   سَكْرَى الْمُنَىْ قُدْسِيَّةَ النَّفَحَاْتِ
أصْبَحْتُ لاْ لَعْسُ الشِّفَاْهِ كَعَهْدِهَا   كَأْسِيْ وَلاْ حَدْقُ الْمَهَا مِرْآتِيْ

يَاْ مَنْ يَلِحُّ هَوَاْيَ فِي اسْتِعْطَاْفِهَا   وَتَلِحُّ فِيْ ظُلْمِيْ وفِيْ إعْنَاْتِيْ
أنْكَرَتْنِيْ بَعْدَ الشَّبَاْبِ وَمَاْ خَبَتْ   نَاْرٌ عَلَىْ شَفَتَيْكِ مِنْ قُبُلاتِيْ
أيَّاْمَ أرْشُفُ مِنْ لُمَاْكِ سُلافَتِيْ   وَأَعُلُّ مِنْ آهَاْتِكِ الْعَطِرَاْتِ
هَيْهَاْتِ يُرْجِعُهَا إلِى اطْمِئْنَاْنِهَا   إلاّ هَوَىً شَرِسُ الشَّمَاْئِلِ عَاْتِ
وَنَعَمْ تَنَكَّرَ لِي الشَّبَاْبُ وَفَاْتَنِيْ   مَاْ فَاْتَ مِنْ أيَّاْمِهِ النَّضِرَاْتِ
فَتَقَبَّلِيْ ذِكْرِىْ هَوَاْيَ بَقِيَّةً   مِنْهُ تَرِفُّ لُمَاْكِ فِيْ نَغَمَاْتِيْ

عطر في السجون الضيقة

من قصيدة «غربة الرّوح»

لَمْلَمَ الْفَجْرُ ذِكْرَيَاْتِي فَمَاْ لَمْلَمَ   إلاّ أَقَاْحِيَاً وَشَقِيْقَا
كِبْرِيَاْئِي فَوْقَ النُّجُوم وَلَوْلاْهَا   لَمَاْ كُنْتُ بِالنُّجُوْم خَلِيْقَا
وَكُنُوزِيْ وَلَيْسَ تَحْرُسُهَا الْجِنُّ   تُنَادِي الْمَحْرُوْمَ وَالْمَرْزُوْقَا

لِيْ قُبُوْرٌ كَنَزْتُ فِيْهَا شَبَاْبِيْ   وَصُبُوْحِيْ عَلَى الْمُنَى وَالْغَبُوْقَا
يَا قُبُوْرَ اللِّذَاتِ : كُلٌّ شَقِيْقٌ   حَاْضِنٌ فِيْ الثَّرَى أَخَاْهُ الشَّقِيْقَا
وَسِعَتْ هَذِهِ الْقُبُوْرُ فُؤَاْدِيْ   كَيْفَ تَشْكُوْ - وَهْيَ السَّمَاْوَاْت- ضِيْقَا

أَنَاْ كَالطَّيْرِ أَلْفُ صَحْرَاْءَ لَفَّتْهُ   مَهِيْضَ الْجَنَاْحِ شِلْوَاً مَزِيْقَا
مَاْتَ أَيْكِيْ وَمَاْتَ وَرْدِيْ فَلا تَعْجِيْلَ   أُعْنَى بِهِ وَلاْ تَعْوِيْقَا
غُرْبَتِيْ قَدْ سَئِمْتُ غُرْبَةَ رُوْحِي   وَمَلَلْتُ التَّغْرِيْبَ وَالتَّشْرِيْقَا
غُرْبَتِيْ غُرْبَتِيْ عَلَى النَّأْيِ وَالْقُرْبِ   أَرَاْنِيْ إِلَىْ دُجَاْهَا مَسُوْقَا
حِدْتُ عَنْهَا غَرْبَاً وَشَرْقَاً وَطَوَّفْتُ   فَمَا اجْتَزْتُ سَهْمَهَا الْمَرْشُوْقَا

يَاْ لَنَسْرٍ تَقَحَّمَ الشَّمْسَ حَتَّى   مَلَّ عِزَّ الشُّمُوْسِ وَالتَّحْلِيْقَا
يَهْرُمُ النَّسْرُ فَالطَّرِيْقُ عِثَاْرٌ   ذِكْرَيَاْتُ الصِّبَاْ زَحَمْنَ الطَّرِيْقَا
عَاْلَمُ الذِّكْرَيَاْتِ نَمْنَمَهُ الْخَاْلِقُ   حَتَّى يُدَلِّلُ الْمَخْلُوْقَا

يا قُبُوراً فِيْ الشَّاْمِ رُبَّ قُبُوْرٍ   أَنْزَلَتْهَا النَّوىْ مَكَاْنَاً سَحِيْقَا
مُوْحِشَاْتٍ : إلاّ عَزِيْفَاً مِنَ الْجِـ   ـنِّ يَرُجُّ الدُّجَى وَإِلاّ نَعِيْقَا
هَاْئِمَاْتٍ كَالنُّوْرِ طَاْرَتْ صَبَاْبَاْ   تِيْ إِلَيْهَا فَمَا اسْتَطَعْنَ اللُّحُوْقَا
غَرَّبَتْنَا الْعُلَى قُبُوْرَاً وَأَحْيَاْءً   وَعَاْثَتْ بِشَمْلِنَا تَفْرِيْقَا
وَاغْتِرَاْبُ الْقُبُوْرِ مِنْ حِيَلِ الْمَوْتِ   لِيُخْفِى كُنُوْزَهُ وَالْعُلُوْقَا
تَسْمَعُ الرِّيْحُ حِيْنَ تُصْغِيْ حَنِيْنَا   مِنْ فُؤَاْدِيْ عَلَى الثَّرَىْ وَشَهِيْقَا
مَا لِقَوْمِيْ غَاْلَ الْحِمَاْمُ فَرِيقاً   مِنْهُمْ وَالْعُقُوْقُ غَاْلَ فَرِيْقَا
ظَلَمَ الْكَنْزُ أَهْلَهُ فَتَمَنَّى   أَنْ يَكُوْنَ الْمُبَدَّدَ الْمَسْرُوْقَا
فَاْرَقُوْنِيْ مُعَطَّرِيْنَ مِنَ الْفَتْحِ   وَخَلَّوا لِيَ الأَسَىْ وَالشَّهِيْقَا
أظْمَأتْنِيْ وُجُوْهُهُمْ حِيْنَ غَابَتْ   فَأَرْدَتِ الذِّكْرَىْ سُلافَاً وَرِيْقَا

يَاْ لِدَاْتِ الْفُتُوْحِ ، نَسْقِيْ مَنَاْيَاْنَا   وَيَسْقِيْنَا الْهَوَىْ تَرْنِيْقَا
بَيْنَنَا صُحْبَةُ الإبَاْءِ وَعِزٌّ   أَمَوِيٌّ يُطَاْوِلُ الْعَيُّوْقَا[6]
وَكِفَاْحٌ كَعَصْفٍ ضَجَّ فِيْ الدُّنْيَا   رُعُوْدَاً هَدَّاْرَةً وَبُرُوْقَا
وَالْمُرُوْءَاْتُ كَالْغَرَاْئِرِ فِيْ الرِّيْفِ   مِلاحٌ لاْ تَعْرِفُ التَّزْوِيْقَا
وَعُقُوْدٌ مِنَ السِّنِيْنَ نَظَمْنَاْهَا   سُجُوْنَاْ وَكِبْرِيَاْءً وَضِيْقَا
نَحْنُ كُنَّا الزِّلْزَاْلَ نَعْصِفُ بِالشَّرْقِ   نَرُجُّ الشُّعُوْبَ حَتَّى تَفِيْقَا
فَابْتَدَعْنَا مِنْ الرؤى وَاْقِعَ الْحَقِّ   وَمِنْ غَمْرَةِ الظَّلامِ الْبَرِيْقَا
نَقْحَمُ الْغَاْمِضَ الأَشَمَّ مِنَ الْمَجْدِ   وَنَأْبَى الْمُمَهَّدَ الْمَطْرُوْقَا
نَحْنُ عِطْرُ السُّجُوْنِ عِطْرَ الْمَنَاْيَا   نَحْمِلُ الْجُرْحَ مُطْمَئِنَاً عَمِيْقَا
نَحْنُ كَالشَّمْسِ جُرْحُهَا وَهجُ الدُّنْيَا   غُرُوْبَاً مُنَوَّرَاً وَشُرُوْقَا
نَحْنُ وَالشَّاْمُ وَالْفُتُوْحَاْتُ وَالأَحْزَاْنُ   دُنْيَا تَزَيَّنَتْ لِتَرُوْقَا
مَاْ دَرَى الشَّرْقُ قَبْلَنَا سُكْرَةَ الْحَقِّ   وَلاْ خَمْرَهَا وَلاْ الرَّاْوُوْقَا
نَحْنُ عِشْقٌ لِلْغُوْطَتَيْنِ بَرَاْهُ اللهُ   حَتَّى يُؤَلِّهَ الْمَعْشُوْقَا
نَحْنُ فِيْ الْكَأْسِ نَغْمَةٌ ، نَحْنُ فِي   النَّغْمَةِ صَهْبَاْءُ : صَفَّقَتْ تَصْفِيْقَا
خَمْرَةُ النُّوْرِ خَمْرَةُ الثَّأْرِ وَالإيمَاْنِ   طَاْبَتْ بَرْدَاً وَطَاْبَتْ حَرِيْقَا
يَعْرِفُ الْحَقُّ قِيْمَةَ الْجَوْهَرِ   الْفَرْدِ وَيُغْلِى جَدِيْدَهُ وَالْعَتِيْقَا
يُعْذَرُ الْحُرُّ حِيْنَ لاْ يُخْطِئُ الْعَزْمَ   وَإنْ كَاْنَ أَخْطَأَ التَّوْفِيْقَا

[6] العيوق: نجم مضيء في طرف المجرة






كتاب في جريدة

غبار الأيام

من قصيدة «عاد الغريب»

حَلَفْتُ بِالشَّامْ هَذَا الْقَلْبُ مَا هَمَدَا　　　عِنْدِيْ بَقَايَا مِنَ الْجَمْرِ الذِي اتَّقَدَا
لَثَمْتُ فِيْهَا الأَدِيْمَ السَّمْحَ فَالْتَهَبَتْ　　　مَرَاشِفُ الْحُوْرِ مِنْ حَصْبَائِهَا حَسَدَا
قَدْ ضَمَّ هَذَا الثَّرَى مِنْ صِيْدِهَا مِزَقَاً　　　إِرْثَ الْفُتُوْحِ وَمِنْ مُرَّانِهَا قَصَدَا
أُلَمْلِمُ الْجَمَرَاْتِ الْخُضْرَ مِنْ كَبِدِيْ　　　وَأَسْتَرِدُّ الصِّبَا وَالْحُبَّ وَالْكَبِدَا

سَقَيْتُ خَمْرَةَ أَشْعَارِيْ لُمَىْ شَفَةٍ　　　بَخِيْلَةٍ فَسَقَتْنِي الشَّهْدَ وَالبَرَدَا
وَإِنْ كَبَرْتُ فَلِي كَنْزَا هَوَىً وَصِبَا　　　نَهْدَاْنِ مِنْ نَغَمَاْتِ اللهِ قَدْ نَهَدَا
أَوْدَعْتُ عِنْدَهُمَا بَعْضَ الشَّبَاْبِ فَمَا　　　خَاْنَا وَدِيْعَةَ أَيَّامِي وَلا جَحَدَا
عَادَ الْغَرِيْبُ وَلَمْ تَظْمَأْ سَرِيْرَتُهُ　　　فَقَدْ حَمَلْتُ بِهَا فِيْ غُرْبَتِي بَرَدَىْ
جَلاْنِيَ الظُّلْمُ أَشْلاْءً مُمَزَّقَةً　　　وَاحْتَزَّ أَكْرَمَهُنَّ : الْقَلْبَ وَالْوَلَدَا
تُصْغِيْ النُّجُوْمُ إِلَىْ نَوْحِيْ فَيُسْكِرُهَا　　　يَبْكِي الْهَزَّاْرِ وَيَبْقَى مُسْكِراً غَرِدَا
أَلْحَاْنِيْنَ عَلَى قَلْبِيْ وَلَوْعَتِهِ　　　يُبَدِّدَاْنِ مِنَ الأَحْزَاْنِ مَا احْتَشَدَا
قَلْبِي الذِيْ نَضَّرَ الدُّنيا بِنِعْمَتِهِ　　　رَأَى مِنَ الْحِقْدِ أَقْسَاْهُ وَمَاْ حَقَدَا
فَيَاْ لَقَلْبٍ غَنِيِّ النُّوْرِ مَزَّقَهُ　　　عَلَىْ النَّوَىْ حِقْدُ أَحْبَاْبٍ وَحِقْدُ عِدَى
إِنِّيْ لأَرْحَمُ خَصْمِي حِيْنَ يَشْتُمُنِيْ　　　وَكُنْتُ أُكْبِرُهُ لَوْ عَفَّ مُنْتَقِدَا

ضَمَّ الثَّرَىْ مِنْ أَحِبْاْئِي لِيُوْثَ شَرَىً　　　وَغَاْبَ تَحْتَ الثَّرَىْ مِنْهُمْ شُمُوْسُ هُدَى
لِدَاْتِيَ الصِّيْدُ ، شلّ الْمَوْتُ سَرْحَهُمُ　　　لَيْتَ النُّجُوْمَ وَرُوْحِي لِلِّدَاْتِ فِدَىْ
الرَّاقِدُوْنَ وَجَفْنِي مِنْ طُيُوْفِهِمُ　　　فِيْ سَامِرٍ ضَجَّ فِيْ جَفْنِي فَمَا رَقَدَا
قُبُوْرُ أَهْلِي وَإِخْوَاْنِيْ وَغَاْفِيَةٌ　　　مِنَ الطُّيُوْفِ وَأَسْرَاْرٌ وَرَجْعُ صَدَىْ
وَاللَّيْلُ وَالصَّمْتُ وَالذِّكْرَىْ وَكَنْزُ رُؤَىً　　　لَمَحْتُ مَاْرِدَ جِنٍّ حَوْلَهُ رَصَدَا
وَوَحْشَةٌ لَفَّتِ الدُّنْيَا بِرَهْبَتِهَا　　　وَلَفَّتِ الْغَيْبَ وَالأَحْلامَ وَالأَبَدَا
أَلْحَاْنِيَاْتُ عَلَىْ تِلْكَ الْقُبُوْرِ مَعِيْ　　　وَنَبَّهَ الْفَجْرُ طَيْراً غَاْفِيَاً فَشَدَا
حَتَّىْ بَكَيْتُ فَذَاْبَتْ كُلُّ وَاْحِدَةٍ　　　مِنْهُنَّ فِيْ أَدْمُعِ النَّائِي الذِي وَفَدَا
هَشَّتْ إِلَىَّ قُبُوْرٌ ، أَدْمُعِيْ عَبَقٌ　　　عَلَى الرَّيَاْحِيْنِ فِيْ أَفْيَائِهَا وَنَدَى
ضَمَّتْنِيَ الشَّاْمُ بَعْدَ النَّأْيِ حَاْنِيَةً　　　كَالأُمِّ تَحْضُنُ بَعْدَ الفُرْقَةِ الْوَلَدَا
رَدَّتْ إِلَيَّ شَبَاْبِيْ فِيْ مَتَاْرِفِهِ　　　وَهَيَّأَتْ لِلصِّيَّاْلِ الْفَاْرِسَ النَّجِدَا
أَنَا الْوَفِيُّ وَتَأْبَى الغُرُّ مِنْ شِيَمِيْ　　　كُفْرَاْنَ نِعْمَةِ مَنْ أَسْدَىْ إِلَيَّ يَدَا

أغنية الإكتفاء

من قصيدة «الشّهيد»

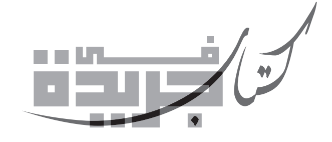
كِفَاْءٌ لِعَسْفِ الدَّهْرِ أَنِّي مُؤْمِنٌ　　　وَعَدْلٌ لِطُغْيَاْنِ الْوَرَى أَنَّنِيْ حُرُّ
وَمَا ضَرَّنِيْ أَسْرٌ وَنَفْسِيْ طَلِيْقَةٌ　　　مُجَنَّحَةٌ مَا كَفَّ مِنْ شَأْوِهَا أَسْرُ
أُطِلُّ عَلَى الدُّنْيَا عَزِيْزاً : أَضَمَّنِيْ　　　إِلَيْهِ ظَلامُ السِّجْنِ أَمْ ضَمَّنِيْ الْقَصْرُ
وَمَا حَاْجَتِيْ لِلنُّوْرِ وَالنُّوْرُ كَاْمِنٌ　　　بِنَفْسِيْ لاْ ظِلٌّ عَلَيْهِ وَلاْ سِتْرُ
وَمَا حَاْجَتِيْ لِلأُفْقِ ضَحْيَاْنَ مُشْرِقَا　　　وَنَفْسِي الضُّحَىْ وَالأُفْقُ وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ
وَمَا حَاْجَتِيْ لِلْكَائِنَاْتِ بِأَسْرِهَا　　　وَفِيْ نَفْسِيَ الدُّنْيَا و فِيْ نَفْسِيَ الدَّهْرُ
يُرِيْدُوْنَ أَسْرَاْرِيْ وَلِلَّيْلِ سِرُّهُ　　　إِذَاْ نَقَّبُوا عَنْهُ وَمَا لِلْضُّحَى سِرُّ

وَنَفْسِيْ لَوْ أَنَّ الْجَمْرَ مَسَّ إِبَاْءَهَا　　　عَلَىْ بِشْرِهَا الرَّيَّانِ لاحْتَرَقَ الْجَمْرُ
وَيَاْ خَيْبَةَ الطَّاْغِيْ يُدِلُّ بِنَصْرِهِ　　　وَمِنْ سَيْفِهِ لاْ رُوْحِهِ انْبَثَقَ النَّصْرُ
يُغَاْلِي بِدُنْيَاْهُ وَيَجْلُوْ فُتُوْنَهَا　　　وَدُنْيَاْهُ فِيْ عَيْنَيَّ مُوْحِشَةٌ قَفْرُ
رَأَيْتُ بِزُهْدِيْ مَاْ رَأَى بِغُرُوْرِهِ　　　فَأَعْوَاْمُهُ سَاْعٌ وَآمَاْدُهُ فِتْرُ
شَكَاْ حُبَّهُ لِيْ وَهْوَ رَيَّاْنُ مِنْ دَمِيْ　　　وَأَنْيَاْبُهُ حُمْرٌ وَأَظْفَاْرُهُ حُمْرُ
وَصَاْنَعَ يَسْتَجْدِي الْوَلاْءَ فَيَاْلَهُ　　　غِنَىً مَلَكَ الدُّنْيَا وَمَعْدَنُهُ الْفُقْرُ

تَطُوْفُ بِكَ الأَحْلامُ سَكْرَىْ كَعَهْدِهَا　　　وَيَنْطِفُ مِنْ أَفْيَاْئِكَ الْحُبُّ وَالْعِطْرُ
وَيَضْحَكُ لِيْ وَجْهٌ نَدِيٌّ مُنَوَّرٌ　　　كَأَنْ لَمْ يُغَيَّبْ مِنْ طَلاْقَتِهِ الْقَبْرُ
وَحَتَّى كَأَنْ لَمْ يَطْوِهِ عَنِّي الرَّدَى　　　فَهَلْ بُعِثَ الأَمْوَاْتُ أَمْ رَدَّهُ السِّحْرُ
تَلِمُّ بِهِ الذِّكْرَىْ فَيَحْيَاْ كَبَاْرِقٍ　　　طَوَاْهُ الدُّجَى عَنِّيْ لِيُطْلِعَهُ الْفَجْرُ
وَيَبْعَثُهُ حُبِّيْ وَفِيْ كُلِّ خَاْفِقٍ　　　صَحِيْحِ الْهَوَىْ بَعْثُ الأَحِبَّةِ وَالنَّشْرُ
فَيَاْ قَلْبُ فِيْكَ الرَّاْحِلُوْنَ وَإِنْ نَأَوا　　　وَفِيْكَ النَّدَاْمَى وَالرَّيَاْحِيْنُ وَالْخَمْرُ
خَلَعْتَ عَلَىْ الْمَوْتَىْ الْحَيَاْةَ وَسِرَّهَا　　　وَطَاْلَعَهُمْ مِنْكَ الْقِيَاْمَةُ وَالْحَشْرُ
وَفَاْءٌ يَصُوْنُ الرَّاْحِلِيْنَ مِنَ الرَّدَىْ　　　إِذَاْ رَاْحَ يُدْنِي مِنْ مَنَاْيَاْهُمُ الْغَدْرُ
وَيَاْ سَاْمِرَ الأَحْبَاْبِ طَيْفٌ وَلاْ كَرَى　　　وَسُكْرٌ وَلاْ رَاْحٌ وَرَيَّا وَلاْ زَهْرُ
كِلاْنَاْ عَلَىْ مَاْ كَلَّفَ النَّفْسَ مِنْ رِضَىً　　　أَضَرَّ بِهِ نَأْيُ الأَحِبَّةِ وَالْهَجْرُ

أَحِبَّاْيَ لَوْ غَيْرَ الرَّدَىْ حَاْلَ بَيْنَنَا　　　دَنَاْ الْبَرُّ فِيْ عَيْنَيَّ وَانْكَشَفَ الْبَحْرُ
بِأَسْمَاْعِكُمْ وَقْرٌ وَقَدْ رُحْتُ شَاْكِيَاً　　　وَحَاْشَاْ فَفِيْ سَمْعِ الثَّرَىْ وَحْدَهُ الْوَقْرُ
وَأَوْحَشْتُمُ الدُّنْيَا كَأَنْ لَمْ تَدُسْ بِكُمْ　　　عَلَى الْهَاْمِ فِي الرَّوْعِ الْمُحَجَّلَةُ الشُّقْرُ

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّيْ الشَّبَاْبَ قَصِيْدَةً　　　يُحَلَّى بِهَا مُلْكٌ وَيُحْمَى بِهَا ثَغْرُ
تَطُوّفُ فِيْ الدُّنْيَا الْوِسَاْعِ كَأَنَّمَا　　　هِيَ الْخِضْرُ أَوْ يَرْوِيْ شَوَاْرِدَهَا الْخِضْرُ
هَزَزْتُ بِهَا نُوَّاْمَهُمْ مُتَرَفِّقَاً　　　وَيُؤْذِي الشَّبَاْبَ الْمُرْتَجَى اللَّوْمُ وَالزَّجْرُ
وَعِنْدِيْ مِنْ زَهْوِ الشَّبَاْبِ بَقِيَّةٌ　　　يَرِفُّ الصِّبَا فِيْهَا وَأَفْيَاْؤُهُ الْخُضْرُ
أَلَمَّتْ بِيَ الأَيَّاْمُ حُمْراً نُيُوْبُهَا　　　فَمَاْ شَاْبَ لِيْ قَلْبٌ وَلاْ شَاْبَ لِيْ شَعْرُ


كتاب في جريدة

شاعر الأرز

من قصيدة «خَمْرَةَ الأحزان»

لاْ الْحِقْدُ خَمْرَةُ أحْزَانِي وَلاْ الْحَسَد ... مِنْ جَوْهَرِ الله صِيْغَ الشَّاعِرُ الْغَرِدُ
سَقَيْتُ أحْزَانَ قَلْبِي مِنْ عَقِيْدَتِه ... فَأسْكَرَ الْحُزْنُ مَا أُغْلَي وَأَعْتَقِدُ
وَالْهَمُّ يَعْرِفُ كَيْفَ اخْتَارَهُ كَبِدِيْ ... وَكَيْفَ تُكْرِمُ جَمْرَ اللوْعَةِ الْكَبِدُ
نِعْمَ الْعَطَاءُ وَحَسْبِيْ أَنَّهَا انْغَمَسَتْ ... تُمَزِّقُ الْعِطْرَ مِنْ جُرْحِي يَدٌ وَيَدُ
يَا مَنْ أَلَحَّ عَلَى قَلْبِيْ يُقَطِّعُهُ ... أَلَحَّ مِنْهُ عَلَيْكَ الْخَمْرُ وَالشَّهَدُ
دَاْمٍ وَيَعْبَقُ صَهْبَاْءً وَغَاْلِيَةً ... سَجِيَّةً فِيْ الأَرَاْك: الْعِطْرُ وَالْمَلَدُ
عِنْدِي الْوَسِيْمُ مَنَ الْغُفْرَاْنِ أَسْكُبُهُ ... عِطْراً عَلَىْ كُلِّ مَنْ آذَوا وَمَنْ حَقَدُوا
أَكْبَرْتُ عَنْ أَدْمُعِي مَنْ كَاْنَ مُضْطَهَداً ... وَرُحْتُ أَبْكِي لِمَنْ يَطْغَى وَيَضْطَهِدُ
الْحَاْصِدُّوْنَ مِنَ الدُّنْيَا شَمَاْتَتَهَا ... لَوْلا الذِيْ زَرَعُوا بالأَمْسِ مَا حَصَدُوا
ظَمِئْتُ وَالشَّمْسَ مِنْ كِبْرٍ وَمِنْ أَنَفٍ ... وَرُحْتُ و الشَّمْسَ لاْ نَعْنُوْ وَلاْ نَرِدُ
أَعُلُّهَا مِنْ فُؤَادِيْ بَعْضَ لَوْعَتِه ... فَرَنَّحَ الشَّمْسَ مَاْ أَشْكُوْ وَمَاْ أَجِدُ
لِلشِّعْرِ وَالشَّمْسِ هَذَا الْكَوْنُ لا عَدَدٌ ... يَطْغَى عَلَىْ النُّورِ فِيْ الدُّنْيَاْ وَلاْ عُدَدُ
لَقَدْ حَلَفْنَا عَلَى الْجَلَّىْ وَزَحْمَتِهَا ... أَنْ لاْ يُفَاْرِقَنَاْ عِزٌّ وَلاْ صَيَدُ
قُرَىْ الْخُطُوْبِ إِذَاْ ضَجَّتْ زَعَاْزِعُهَا ... صَبْرَ الْكَرِيْمِ عَلَى الْبَأْسَاْءِ وَالْجَلَدُ
وَضَاْقَ قَوْمٌ بِأَشْعَاْرِيْ وَمَوْكِبِهَا ... فِيْ مَوْكِبِ الشَّمْسِ يَخْزَى الْحِقْدُ وَالرَّمَدُ

يُؤَنِّقُ الظُّلْمُ مِنْ أَعْذَاْرِه نَفَراً ... كَأَنَّهُمْ مِنْ هَوَاْنِ الذُّلِّ مَا وُجِدُوا
سَكَبْتُ فِيْ الْكَأْسِ أَشْجَاْنِيْ فَتِلْكَ يَدِيْ ... مِنْ عِبءِ مَا حَمَلَتْهُ الْكَأْسُ تَرْتَعِدُ
أَفْدِي الْقُبُوْرَ التِيِّ طَاْفَ الرَّجَاْءُ بِهَا ... يَا لِلْقُبُوْرِ غَدَتْ تُرْجَى وَتُفْتَقَدُ
وَلِيْ قُبُوْرٌ عَلَى الصَّحْرَاْءِ مُوْحِشَةٌ ... فَلاْ تُزَاْرُ وَلاْ يَدْرِي بِهَا أَحَدُ
تِلْكَ الْقُبُوْرُ وَقَلْبِي لاْ يَضِيْقُ بِهَا ... ضَاْقَتْ بِزَحْمَتِهَا الأَغْوَاْرُ وَالنَّجَدُ

حَمَلْتُ مِنْ بَرَدَى لِلأَرْزِ مُرْقِصَةً ... فِيْهَا الصَّبَاْبَةُ وَالأَشْوَاْقُ تَحْتَشِدُ
عُرُوْبَةُ الشَّاْمِ يَاْ لُبْنَاْنُ صَاْفِيَةٌ ... سَمْحَاْءُ كَالنُّوْرِ لاْ مَكْرٌ وَلاْ عُقَدُ
تَنَزَّهَ الْحُبُّ عَنْ مَنٍّ وَعَنْ نَكَد ... وَقَدْ يُنَغِّصُ حُسْنَ النِّعْمَةِ النَّكَدُ
نَحْنُ الْمُحِبِّيْنَ نَهْوَاْكُمْ وَنُؤْثِرُكُمْ ... هَلْ كَاْنَ مَنْ دَلَّلُوا الْقُرْبَى كَمَنْ وَأَدُوا؟
نَحْنُ الظِّمَاْءَ وَنَسْقِي الْحُبَّ أَرْزَكُمْ ... الْحُبُّ فِيْ الشَّاْمِ لاْ نَزْرٌ وَلاْ ثَمَدُ

غنيمة الطواف

من قصيدة اطلّ من حرم الرؤيا فعزاني

مَنَاْزِلُ الْخُلْدِ لاْ أَرْبَاْعُ لُبْنَاْنِ ... وَفِتْنَةَ السَّحْرِ لاْ آيَاْتُ فَنَّاْنِ
شَبَّ النَّبِيُّوْنَ فِيْ أَفْيَاْئِهَا وَحَبَتْ ... فِيْهَاْ خَيَاْلاْتُ إِنْجِيْلٌ وَقُرْآنِ
شَبَّ النَّبِيُّوْنَ فِيْ أَفْيَاْئِهَا وَحَبَتْ ... إلاّ وَبَيْنَ خَوَاْفِيْهَا حَبِيْبَاْنِ
شَبَّ النَّبِيُّوْنَ فِيْ أَفْيَاْئِهَا وَحَبَتْ ... مَدِيْدَةِ الظِّلِّ سكْرَىْ الآسِ وَالْبَاْنِ
سَقَتْهُ مِنْ خَمرِهَاْ قبْلَ الْكَرَىْ عَللاً ... فَبَعْضُ أَحْلاْمِهِ أحْلاْمُ سَكْرَاْنِ
وَدَغْدَغَتْهُ فِلْلأَغْصَاْنِ هَيْمَنَةٌ ... كَأَنَّهَا بَثُّ غَيْرَاْنٍ لِغَيْرَاْنِ
وَمَا تَنبَّهَ حَتَىْ رَاْعَهُ وَهَجٌ ... وَالشَّمْسُ حُلْيُ رُبَىً خُضْرٍ وَوِدْيَاْنِ
صَحِبْتُ فِيْكِ شَبَاْبِيْ وَالْهَوَىْ وَمُنَىً ... لُعْسُ الشِّفَاْهِ وَظِلاً غَيْرَ ضَحْيَاْنِ
فَأَسْبِغِيْ نِعْمَةَ النِّسْيَاْنِ تَغْمُرُنِيْ ... عَسَىْ يُخَفِّفُ مِنْ بَلْوَاْيَ نِسْيَاْنِيْ
أَمْسَيْتُ لاْ رِيْقُهَا الْمَعْسُوْلُ أَسعَدَنِيْ ... وَلاالجُنُوْنُ : جُنُوْنُ الْحُبِّ وَاْتَاْنِيْ
أَلَحَّ بِي السُّقْمُ حَتَّى لاْ يُفَاْرِقُنِيْ ... وَرَاْحَ يَنْسُجُ قَبْلَ الشَّيْبِ أَكْفَاْنِيْ

طَوَّفْتُ فِيْ هَذِهِ الدُّنْيَاْ عَلَىْ مَهَلٍ ... طَوَاْفَ أَشْعَثَ مَاْضِيْ الْعَزْمِ يَقْظَاْنِ
مُفَتِّشَاً عَنْ عَزَاْءِ النَّفْسِ لاْ لَعِبِيْ ... أَدَّىْ إِلَيْهِ وَلاْ حِلْمِيْ وَعِرْفَاْنِيْ
فَمَاْ رَأَيْتُ لَهُ عَيْنَاً وَلاْ أَثَراً ... وَلاْ أَفَاْدَ طُوَاْفِيْ غَيْرَ خُذْلاْنِيْ
إِذَاْ نَدَبْتُ جُهُوْدِيْ وَهْيَ ضَاْئِعَةٌ ... أَطَلَّ مِنْ حَرَمِ الرُّؤْيَا . فَعَزَّاْنِيْ

يوم كنا نقطف الماء

من قصيدة «حنين الغريب»

تُطَوِّحُنِي الأَسْفَارُ شَرْقاً وَمَغْرِبَا وَلَكِنَّ قَلْبِي بِالشَّاَم مُقِيْمُ
وَأَسْمَعُ نَجْوَاهَا عَلَى غَيْرِ رُؤْيَةٍ كَأَنِّيْ عَلَى طُوْرِ الْجَلال «كَلِيْم»
و لِلْمَجْدِ أَعْبَاءٌ وَلَكِنَّهَا مُنَىً وَلِلْمَكْرُمَاتِ الْغَالِيَاتِ هُمُوْمُ
وَيَاْ رَبِّ قَلْبِيْ - مَا عَلِمْتَ - مَحَبَّةً وَعِطْرٌ وَوَهْجٌ مِنْ سَنَاْكَ صَمِيْمُ
جَلاْ نُوْرُكَ الدُّنْيَا لِعَيْنِي وَسِيْمَةً فَلَمْ يَبْقَ حَتَّى فِي الْهُمُوْمِ دَمِيْمُ
فَرَرْتُ إِلَىْ قَلْبِيْ مِنَ الْعَقْلِ خَاْئِفَاً كَمَاْ فَرَّ مِنْ عَدوى الْمَرِيْضِ سَلِيْمُ
تَأَلَّهَ عَقْلٌ أَنْتَ يَا رَبّ صُغْتَهُ وَكَاْدَ يَرُدُّ الْمَيْتَ وَهْوَ رَمِيْمُ
تَرِفُّ حَضَاْرَاْتٌ عَلَيْهِ وَضِيْئَةٌ وَخَيْرٌ كَإِغْدَاْقِ السَّمَاءِ عَمِيْمُ
جَلَتْ هَذِهِ الدُّنْيَاْ لِعَيْنِيْ كُنُوْزَهَا لَوَامِعَ يُغْرِيْ بَرْقُهَا فَأَشِيْمُ
وَلَمْ أَتَرَدَّدْ وَانْتَقَيْتُ .. وَحُبُّهَا وَأَحْلامُهَا مَا اخْتَرْتُ حِيْنَ تَسُوْمُ
قَد اخْتُصِرَتْ دُنْيَا بِقَلْبِيْ وَعَاْلَمٌ كَمَا اخْتَصَرَ الْعِلْمَ الشَّتِيْتَ رَقِيْمُ

وَهَيْهَاْتَ مِنِّيْ فِيْ الْبُحَيْرَةِ دُمَّرٌ وَسَجْعٌ بِوَاْدِي الرَّبْوَتَيْنِ رَخِيْمُ
إِذَاْ لاْحَ لِي وَجْهُ الْبُحَيْرَةِ قَاْتِمَاً أَلَحَّ عَلَيْهِ عَاْصِفٌ وَغُيُوْمُ
فَوَجْهُ أَدِيْمِ الشَّاْمِ طَلْقٌ مُنَوَّرٌ وَوَجْهُ بُحَيْرَاْتِ السَّمَاْءِ قَسِيْمُ
تَعَلَّلْتُ لاْ أَشْكُوْ سَقَاْمَاً و لاْ أَذَىً بَلَى كُلُّ نَاْءٍ عَنْ هَوَاْهُ سَقِيْمُ
وَيُحْزِنُنِيْ دَوْحُ الْبُحَيْرَةِ عَاْرِيَاً وَأَوْرَاْقُهُ الْخَضْرَاْءُ وَهْيَ هَشِيْمُ
وَأَبْسِطُ كَفِّيْ أَقْطُفُ الْمَاْءَ عَاْبِثَاً كَأَنَّ الْمُوَيْجَاْتِ الصِّغَاْرَ جَمِيْمُ
وَتِلْكَ الظِّلالُ الْحَاْلِيَاْتُ عَوَاْطِلٌ عَلَى كُلِّ أَيْكٍ وَحْشَةٌ وَسُهُوْمُ
رُسُوْمُ هَوَىً مَا اسْتَوْقَفَتْ خَطْوَ عَاْبِرٍ كَمَاْ اسْتَوْقَفَتْ رَكْبَ الْفَلاةِ رُسُوْمُ
وَضَمَّ الظَّلامُ السَّكْبُ ظِلاًّ لِجَاْرِهِ كَأَنَّ الظِّلالَ الْمُغْفِيَاْتِ جُسُوْمُ

مخاطبة الغائب

من قصيدة «فلسفة الحقيقة»

أَهُنَيْهَةً قَطَعَ الضُّحَى أَمْ جِيْلا يَوْمَ الْعُفَاْةِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيْلا
مَاْ ضَرَّ فَجْرَكَ لَوْ تَلأْلأَ وَانِيَاً فَلَعَلَّهَا تَغْفُوْ الْعُيُوْنُ قَلِيْلا

إِنَّ الذِيْ خَلَقَ الْحَقِيْقَةَ عَلْقَمَاً خَلَقَ الْمُنَى لِلْوَاْرِدِيْنَ شَمُوْلا
تَتَصَاْرَعَاْنِ وَلاْ تَرَىْ إِحْدَاْهُمَاْ ظَفَراً لِتَبْسطَ حُكْمَهَا وَتَطُوْلا
تَدْعُوْ الْمُنَىْ زُمَرَ الْقُلُوْبِ وَأُخْتُهَا تَدْعُوْ بَصَاْئِرَ فِي الْوَغَى وَعُقُوْلا
وَالْكَوْنُ بَيْنَ الضُّرَّتَيْنِ مُقَسَّمٌ فَاشْهَدْ قَبِيْلاً يَسْتَبِيْحُ قَبِيْلا
أَمَّا الدُّجَىْ وَالْفَجْرُ مِنْ أَعْدَاْئِهِ فَلَقَدْ بَصُرْتُ بِهِ يَخُرُّ جَدِيْلا

قُلْ لِلْحَقِيْقَةِ إِنْ قَسَوْتِ فَرُبَّمَا فَكَّ الزَّمَاْنُ أَسِيْرَكِ الْمَكْبُوْلا
إِنْ تَمْلُكِي الدُّنْيَاْ وَسِرَّ كُنُوْزِهَا لَمْ تَمْلُكِيْ الأَحْلامَ وَالتَّأْمِيْلا
وَالْعِلْمُ إِنْ مَلَكَ الْقُلُوْبَ فَسَمِّهِ وَحْشِيَّةً وَادعُ الْحَضَاْرَةَ غِيْلا
عَفَّىْ عَلَى حَرَمِ الْخَيَاْلِ وَقُدْسِهِ أَوَ مَاْ تَرَىْ حَرَمَ الْخَيَاْلِ أُزِيْلا
وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِهِ أُنَاْشِدُ غَاْئِبَاً قَفَلَ الْخَلِيْطِ وَمَا أَطَاقَ قُفُوْلا





الحنين إلى العدم

من قصيدة «الدمية المحطّمة»

أَيَا دُمْيَةً أَنْشَأْتُهَا وَعَبَدْتُهَا ... كَمَا عَبَدَ الْغَاوُونَ مَنْحُوتَ أَحْجَارْ
سَكَبْتُ بِهَا رُوحِي وَأَهْوَاءَ صَبْوَتِي ... وَأَلْوَانَ أَحْلامِي وَبِدْعَةَ أَطْوَارِي
جَمَعْتُ بِهَا الدُّنْيَا فَكَانَتْ سُلافَتِي ... وَكَأْسِي وَنُدْمَانِي وَأَهْلِي وَسُمَّارِي
وَنَامَتْ عَلَى الْحُلْمِ الْمُرِيحِ بِمُقْلَتِي ... وَهَدْهَدَهَا عِطْرِي وَحُبِّي وَإِيْثَارِي

وَيَا دُمْيَةً أَنْشَأْتُهَا ثُمَّ حَطَّمَتْ ... يَدَايَ الذِي أَنْشَأْتُ تَحْطِيمَ جَبَّارِ
جَمَالُكِ مِنْ سِحْرِي وَعِطْرُكِ مِنْ دَمِي ... وَفِتْنَتُكِ الْكُبْرَى خَيَالِي وَأَشْعَارِي
وَثَغْرُكِ مِنْ حَانِي فَيَا لِمُنَمْنَمٍ ... نَدِيٍّ بِأَنْفَاسِ الرَّيَاحِيْنِ مِعْطَارِ
أَلَمَّ بِهِ إِثْمِي فَنَدَّاهُ بِالْمُنَى ... وَمَرَّ بِهِ وَهْنَاً فَطَيَّبَهُ عَارِي
خَلَقْتُكِ مِنْ أَهْوَاءِ نَفْسِي وَنَوَّعَتْ ... بِكِ الْحُسْنَ أَهْوَائِي وَحُبِّي وَأَوْطَارِي
فَمَا يُشْتَهَى خَدَّاكِ إِلاَّ لأَنَّنِي ... تَرَكْتُ عَلَى خَدَّيْكِ إِثْمِي وَأَوْزَارِي
وَمَا أَسْكَرَتْ عَيْنَاكِ إِلاَّ لأَنَّنِي ... سَكَبْتُ بِجَفْنَيْكِ الْغَوِيَّيْنِ أَسْرَارِي

أَيُنْكِرُنِي حُسْنٌ خَلَقْتُ فُتُونَهُ ... فَيَخْنُقُنِي عِطْرِي وَتَحْرِقُنِي نَارِي
وَتُنْكِرُنِي : يَا غَضْبَةَ الشِّعْرِ وَالْهَوَى ... وَيَا غَضْبَةَ الدُّنْيَا وَيَا غَضْبَةَ الْبَارِي

رَدَدْتُكِ لِلطِّيْنِ الوَضِيْعِ وَمَا حَنَا ... عَلَى رَوْضِكِ الْهَانِي هُبُوبِي وَإِعْصَارِي
وَفَارَقْتُ إِذْ فَارَقْتُكِ الطِّيْنَ وَحْدَهُ ... وَعَادَتْ إِلَى نَفْسِي عُطُورِي وَأَنْوَارِي

وصيفة الفردوس

من قصيدة «الكعبة السمراء»

تَحْمِلُنِي غَمَامَةٌ مَسْحُوْرَةٌ ... كَالْبَرْقِ عَبْرَ أُفْقٍ مَكْشُوْفِ
خَمْرِيَّةُ الْحَرِيْرِ وَالشَّذَا مَعَاً ... تَعِجُّ مِنْ مُنَايَ بِالأُلُوْفِ
تَلَثَّمُ الأَنْجُمُ مِنْ أَحْلامِهَا ... بِالأُرْجُوَانِ الْعَبِقِ الشَّفِيْفِ
عَلَى غِنَاءٍ وَرُؤَىً وَوَتَرِ ... تَرَنَّحَتْ تَرَنُّحَ النَّزِيْفِ
وَلاَ تَتِيْهُ فِي الدُّجَى غَمَامَتِي ... شَوْقِي دَلِيْلِي وَالضُّحَى رَدِيْفِي
أَسْأَلُ عَنْكِ كَوْكَبَاً فَكَوْكَبَاً ... بِنَزَقِ الْمُعَذَّبِ الْمَلْهُوْفِ
أَلْفَرْقَدَانِ أَنْزَلاكِ مِنْهُمَا ... عَلَى النَّدِيْمِ وَعَلَى الوَصِيْفِ
كَعْبَتِيَ السَّمْرَاءُ قَدْ لَقِيْتُهَا ... بَيْنَ عَوِيْلِ الْجِنِّ وَالْعَزِيْفِ
فَلَنْ تَحِنَّ بَعْدَهَا لِوَثَنٍ ... عِبَادَتِي الْوَلْهَى وَلاَ عُكُوْفِي
أَمُرُّ فِيْهِ وَكَأَنِّي لَمْ أَكُنْ ... أَفْدِيْهِ بِالتَّلِيْدِ وَالطَّرِيْفِ
كَعْبَتِيَ السَّمْرَاءُ أَنْتِ قِبْلَتِي ... عَلَى بَلِيْلٍ بِالنَّدَى وَرِيْفِ
حُسْنُكِ لَمْ يُؤْلَفْ وَلاَ أَلُوْمُهُ ... تَكَبَّرَ الْحُسْنُ عَلَى الْمَأْلُوْفِ
تَبَرَّجَتْ لَكِ الشُّفُوْفُ دُلَّهَاً ... يَا مَنْ رَأَى تَبَرُّجَ الشُّفُوْفِ
وَالأَيْكُ حَنَّ وَانْحَنَتْ وَسَلَّمَتْ ... غُصُوْنُهُ عَلَى الْقُدُوْدِ الْهِيْفِ
طَارَتْ إِلَيْكِ كَبِدِي مَحْمُوْلَةً ... عَلَى جَنَاحِ الرَّجَزِ الْخَفِيْفِ
أَلْمُرْقِصِ السَّمَاءَ فِي عُرْسِ الْهَوَى ... وَالْحُوْرُ يَنْقُرْنَ عَلَى الدُّفُوْفِ
النَّاثِرِ الأَنْجُمَ فِي فَرْحَتِهِ ... دَرَاهِمَاً نَهْبَاً عَلَى الضُّيُوْفِ
وَضَنَّ بِالشَّمْسِ فَضَمَّ يَدَهُ ... حِرْصَاً عَلَى دِيْنَارِهَا الْمَشُوْفِ
النَّغَمُ النَّاعِمُ فِي اخْتِصَارِهِ ... أَحْلَى مِنَ الْمُطَوَّلِ الْعَنِيْفِ
وَرَنْوَةُ الْحَيِيِّ أَلْفُ قِصَّةٍ ... عَنِ الْهَوَى وَغَمْزَةُ الْعَفِيْفِ

دَعِي النَّصِيْفَ[7] وَأَطِلِّي «جَنَّةً» ... هَلْ تُسْتَرُ الْجَنَّةُ بِالنَّصِيْفِ
شَرِبْتُ أَقْدَارِي فِي مُصَفَّى ... سُهْدِكِ حَتَّى سَكِرَتْ حُتُوْفِي
تَسْأَلُ كُلُّ أَيْكَةٍ جَارَتَهَا ... عَنْ قَدِّكِ الْمُهَفْهَفِ النَّحِيْفِ
تَمَّ رَشِيْقَاً أَمْلَدَاً وَلَقِيْتُ ... مِنْهُ الفُضُوْلُ نَظْرَةَ الْعُيُوْفِ
قَدُّكِ وَالضَّمِيْرُ مِنْ سَجِيَّةٍ ... بُوْرِكَ بِالرَّهِيْفِ وَالرَّهِيْفِ
هَلْ يَسْمَحُ الضُّحَى بِبَعْضِ ظِلِّهِ ... قَدْ طَالَ فِي هَجِيْرِهِ وُقُوْفِي
أَحْمِلُ فِي مَجَامِرِي بَخُوْرَهَا ... هَدِيَّةَ الْمُشَرَّدِ الضَّعِيْفِ
وَلَبَنَاً مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَاً ... مِنْ ذَهَبٍ لِقَصْرِكِ الْمُنِيْفِ
تَعَطَّرِي فَهَذِهِ صَبَابَتِي ... وَاكْتَحِلِي فَهَذِهِ حُرُوْفِي

[7] النصيف: الخمار وهو ما تغطي المرأة به رأسها.

طمأنينة الجراح

من قصيدة «جلونا الفاتحين»

جِرَاْحٌ فَيْ سَرِيْرَتِكَ اطْمَأَنَّتْ ... لَقَدْ أَكْرَمْتَ بِالصَّبْرِ الْجِرَاْحَا

كَأَنَّ الْهَمَّ ضَيْفُكَ فَهْوَ يَلْقَى ... عَلَى الْقَسَمَاْتِ بِشْرَاً وَارْتِيَاْحَا

وَقَبْلَكَ مَاْ رَأَتْ عَيْنِي هُمُوْمَاً ... مُدَلَّلَةً وَأَحْزَاْنَاً مِلاحَا

وَقَدْ تَرِدُ الْهُمُوْمُ عَلَى كَرِيْمٍ ... فَتَرْجِعُ مِنْ صَبَاْحَتِهِ صَبَاْحَاْ

أسرار النور الأشقر

من قصيدة «الحُبّ و الله»

تَأَنَّقَ الدَّوحُ يُرْضِي بُلْبُلاً غَرِداً ... مِنْ جَنَّةِ اللهِ قَلْبَاْنَا جَنَاْحَاْهُ

يَطِيْرُ مَا انْسَجَمَاْ حَتَّى إِذَاْ اخْتَلَفَا ... هَوَىْ . وَلَمْ تُغْنِ عَنْ يُسْرَاْهُ يُمْنَاْهُ

أَلْخَاْفِقَاْنِ مَعَاً فَالنَّجْمُ أَيْكَهُمَاْ ... وَسِدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَالْحُبُّ : أَشْبَاْهُ

أَسْمَى الْعِبَاْدَةِ رَبٌّ لِيْ يُعَذِّبُنِيْ ... بِلا رَجَاْءٍ وَأَرْضَاْهُ وَأَهْوَاْهُ

وَأَيْنَ مِنْ ذِلَّةِ الشَّكْوَىْ وَنَشْوَتِهَا ... عِنْدَ الْمُحِبِّيْنَ عِزُّ الْمُلْكِ وَالْجَاْهُ

تَقَسَّمَ النَّاسُ دُنْيَاْهُمْ وَفِتْنَتَهَا ... وَقَدْ تَفَرَّدَ مَنْ يَهْوَىْ بِدُنْيَاْهُ

مَاْ فَاْرَقَ الرِّيُّ قَلْبَاً أَنْتَ جَذْوَتُهُ ... وَلا النَّعِيْمُ مُحِبَّاً أَنْتَ بَلْوَاْهُ

غَمَرْتَ قَلْبِيْ بِأَسْرَاْرٍ مُعَطَّرَةٍ ... والْحُبُّ أَمْلَكُهُ لِلرُّوحِ أَخْفَاْهُ

وَمَا امْتَحَنْتُ خَفَاْيَاْهُ لأَجْلُوَهَا ... وَلا تَمَنِّيتُ أَنْ تُجْلَىْ خَفَاْيَاْهُ

الْخَاْفِقَاْنِ وَفَوْقَ الْعَقْلِ سِرُّهُمَا ... كِلاْهُمَاْ لِلْغُيُوْبِ : الْحُبُّ وَاللهُ

كِلاْهُمَا انْسَكَبَتْ فِيْهِ سَرَاْئِرُنَا ... وَمَاْ شَهِدْنَاْهُ لَكِنَّا عَبَدْنَاْهُ

أَرْخَصْتُ لِلدَّمْعِ جَفْنِيْ ثُمَّ بَاْكَرَهُ ... فِيْ هَدْأَةِ الْفَجْرِ طَيْفٌ مِنْكَ أَغْلاْهُ

طَيْفٌ لِشَقْرَاْءَ كَأْسٍ مِنْ مَتَاْرِفِهِ ... لَوْ لَمْ أَصُنْهُ طَغَى وَجْدِيْ فَعَرَّاْهُ

حُمْنَاْ مَعَ الْعِطْرِ وُرَّاْداً عَلَىْ شَفَةٍ ... فَلَمْ نَغِرْ مِنْهُ لَكِنَّا أَغَرْنَاْهُ

تَهَدَّلَتْ بِالْجَنَىْ الْمَعْسُوْلِ وَاكْتَنَزَتْ ... و الثَّغْرُ أَمْلَؤُهُ لِلثَّغْرِ أَشْهَاْهُ

نَعُبُّ مِنْهُ بِلاْ رِفْقٍ وَيَظْمَؤُنَا ... فَنَحْنُ أَصْدَى إِلَيْهِ مَاْ ارْتَشَفْنَاْهُ

فِيْ مُقْلَتَيْكِ سَمَاْوَاْتٌ يُهَدْهِدُهَاْ ... مِنْ أَشْقَرِ النُّوْرِ أَصْفَاْهُ وَأَحْلاْهُ

وَرَنْوَةٌ لَكِ رَاْحَ النَّجْمُ يَرْشُفُهَاْ ... حَتَّىْ تَرَنَّحَ سُكْرٌ فِيْ مُحَيَّاْهُ

أَطَلَّ خَلْفَ الْجُفُوْنِ الْوَطْفِ مَوْطِنُهُ ... بَعْدَ الْفِرَاْقِ فَحَيَّاْهُ وَفَدَّاْهُ

يَضِيْعُ عَنِّي وَسِيْمٌ مِنْ كَوَاْكِبِهَا ... فَحِيْنَ أَرْنُوْ إِلَىْ عَيْنَيْكِ أَلْقَاْهُ

قَلْبِيْ وَلِلشُّقْرَةِ الْمِغْنَاْجِ لَهْفَتُهُ ... لَيْتَ الْحَنِيْنَ الَّذِيْ أَضْنَاْهُ أَفْنَاْهُ

تُضَفِّرُ الْحُوْرُ غَاْرَاً مِنْ مَوَاْجِعِهِ ... وَتَسْتَعِيْرُ رُؤَاْهَا مِنْ خَطَاْيَاْهُ

أَغْفَيْنَ فِيْهِ لُمَاْمَاً ثُمَّ عُدْنَ إِلَى ... جَنَّاْتِهِنَّ وَقَدْ لَمْلَمْنَ رَيَّاْهُ

يَسْأَلْنَ بِاللَّهْفَةِ الْغَيْرَىْ عَلَىْ خَجَلٍ : ... مَنْ فَجَّرَ الْعِطْرَ مِنْهُ حِيْنَ أَدْمَاْهُ ؟

لَمْ تَعْرِفِ الْحُوْرُ أَشْهَى مِنْ سُلافَتِنَا ... رَفَّ الْهَجِيْرُ نَدَىً لَمَّاْ سَقَيْنَاْهُ

مُدَلَّهٌ فِيْكِ ، مَاْ فَجْرٌ وَنَجْمَتُهُ ! ... مُوَلَّهٌ فِيْكِ ، مَاْ قَيْسٌ وَلَيْلاْهُ !

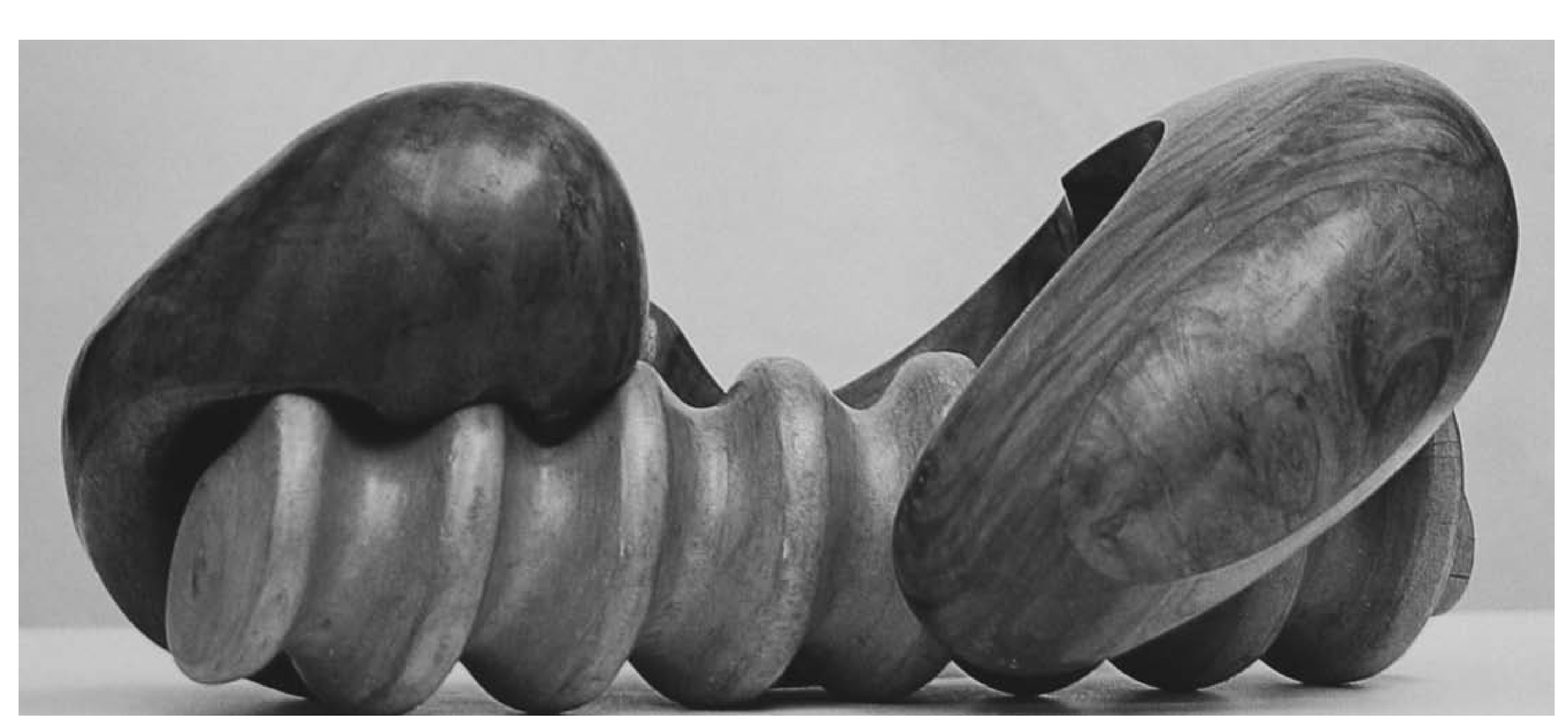
مَنْ كَاْنَ يَسْكُبُ عَيْنَيْهِ وَنُوْرَهُمَاْ ... لِتَسْتَحِمَّ رُؤَاكِ الشُّقْرُ لَوْلاْهُ

سَمَاْ بِحُسْنِكِ عَنْ شَكْوَاْهُ تَكْرِمَةً ... وَرَاْحَ يَسْمُوْ عَنِ الدُّنْيَا بِشَكْوَاْهُ

يُرِيْدُ بِدْعَاً مِنَ الأَحْزَاْنِ مُؤْتَلِقَاً ... وَمِنْ شَقَاْءِ الْهَوَىْ يَخْتَاْرُ أَقْسَاْهُ

سَكَبْتِ قَلْبَكِ فِيْ وِجْدَاْنِهِ فَرَأَتْ ... يَاْ عَزَّ مَا شِئْتِ لاْ مَاْ شَاْءَ عَيْنَاْهُ

أَنْتِ السَّرَاْبُ عَذَاْبٌ وَقْدُهُ وَرَدَىً ... وَتُؤْنِسُ الْعَيْنَ أَفْيَاْءٌ وَأَمْوَاْهُ





من قصيدة «هواجس»

هَوَاجِسِي فِيْكِ إِيْمَانٌ وَغَالِيَةٌ   وَأَنْجُمٌ وَفَرَاشٌ تَعْبُدُ اللَّهَبَا
وَسَالِفَاتُ رُؤًى حِيْنَ اشْتَهَيْتِ لَنَا   فِي الْبِيْدِ خَيْمَتَهَا السَّمْرَاءَ وَالْكُثُبَا
هَوَاجِسٌ أَنْتِ دُنْيَاهَا وَمَعْدِنُهَا   فَكَيْفَ تُبْدِعُ إِلاَّ النُّوْرَ وَالطَّرَبَا
النَّازِلاَتُ عَلَى قَلْبِي وَنِعْمَتِهِ   حُوْرَاً مِنَ الأُفُقِ الْقُدْسِيِّ لاْ رِيَبَا
الْمُتْرَفَاتُ وَأَحْلاهَا وَأَمْلَحُهَا   طَيْفٌ مَعَ الفَجْرِ مِنْ أَهْدَابِكِ انْسَرَبَا
رَوَى لَنَا عَنْكِ مَا نَدَّى سَرَائِرَنَا   مِنَ الْمُنَى السُّمْرِ إِنْ صِدْقَاً وَإِنْ كَذِبَا
تَصَوَّفَ الْقَلْبُ تَدْلِيْلاً لِسَاكِنِهِ   فَمَا شَكَى عَنَتَ الْبَلْوَى وَلاْ عَتَبَا
وَكَيْفَ يُوْحِشُ قَلْبِي مِنْ سُلافَتِهِ   وَقَدْ أَدَرْتُ عَلَيْهِ الْحُبَّ وَالأَدَبَا

غَيَبٌ لِحُبِّكِ مِنْ نُعْمَى الْيَقِيْنِ بِهِ   كَأَنَّنِي كَاْشِفٌ عَنْ سِرِّهِ الْحُجُبَاْ
بَيْنِي وَبَيْنَكِ أَنْسَابٌ مُوَثَّقَةٌ   هَذَاْ اللَّهِيْبُ بِقَلْبِي خَيْرُهَاْ سَبَبَا
لَمْ يَشْهَدِ اللهَ قَلْبٌ لاْ لَهِيْبَ بِهِ   وَيُشْرِقُ اللهُ فِيْ الْقَلْبِ الَّذِي الْتَهَبَا
أُعِيْذُ مُؤْنِسَ رُوْحِي بَعْدَ وَحْشَتِهَا   أَنْ يَسْتَرِدَّ مِنَ النَّعْمَاءِ مَاْ وَهَبَاْ
يَاْ ضَيْعَةَ النَّغَمِ الأَسْمَى وَلَوْعَتِهِ   إِذَاْ مَحَى الْخَالِقُ الْفَنَّانُ مَاْ كَتَبَا
شَفَّعْتُ عِنْدَكِ حُبِّي فِيْ مَوَاْجِعِهِ   وَمَاْ تَمَزَّقَ مِنْ قَلْبِي وَمَا سَلَبَا
أَخْفَيْتُ ظُلْمَكِ عَنْ نَفْسِي لأَرْحَمَهَا   ثُمَّ ابْتَدَعْتُ لَهُ الأَعْذَاْرَ وَالسَّبَبَا

هَوَاْكَ عِنْدِيْ مُقِيْمٌ فِي مَوَاْطِنِهِ   فَإِنْ تَحَوَّلَ عَنْ نَعْمَاْئِهَا اغْتَرَبَاْ

سَكَبْتُ فِيْ دَرْبِكِ الأَطْيَابَ وَالِهَةً   وَجَلَّ كَأْسُكِ عَنْ عِطْرِيْ الَّذِي انْسَكَبَا
لَعَلَّهُ وَالْخُطَى السَّمْرَاْءُ تَسْلُكُهُ   يَعُلُّهَاْ مِنْ حَنِيْنِي بَعْضَ مَا شَرِبَا
أَغْلَيْتُ نُعْمَى الْهَوَى عِنْدِيْ وَمِحْنَتَهُ   فَحُبُّ مَا مَرَّ مِنْهُ حُبُّ مَا عَذُبَا
أُجِلُّ بَابَكِ عَنْ طُوْلِ الْوُقُوْفِ بِهِ   فَقْرُ الْكَرِيْمِ تَجَلَّى صَمْتُهُ طَلَبَا



جمال الخديعة

من قصيدة «السَرَاْب المظلم»

حَنَاْ السَّرَاْبُ عَلَى قَلْبِي يُخَاْدِعُهُ ... بِالْوَهْمِ مِنْ نَشْوَةِ السُّقْيَاْ وَيُغْرِيهِ
فَكَيْفَ رُحْتُ وَلِي عِلْمٌ بِبَاطِلِهِ ... أَهْوَى السَّرَاْبَ وَأَرْجُوْهُ وَأُغْلِيْهِ
وَيْحَ السَّرَاْبِ عَلَى الصَّحْرَاْءِ تُسْلِمُهُ ... رِمَاْلُهَاْ السُّمْرُ مِنْ تِيْهٍ إِلَى تِيْهِ
يُزَوِّرُ الْمَاْءَ لِلسُّقْيَاْ وَلَهْفَتِهِ ... حَرَّى إِلَى مَنْهَلٍ يَحْنُوْ فَيَسْقِيهِ
جَلاْ النَّمِيْرَ وَمَاْ ابْتَلَّتْ جَوَاْنِحُهُ ... مِنَ النَّمِيْرِ وَلاْ ابْتَلَّتْ مَآقِيْهِ
أَيَّاْمُهُ خُدَعٌ لِلرَّكْبِ ضَاْحِكَةٌ ... سُخْرَاً وَلِلْعَدَمِ الْقَاْسِي لَيَاْلِيْهِ
صَرْعَاْهُ لَوْ عَرَفُوا الأَسْرَاْرَ مَاْ جَزَعُوا ... مِمَّاْ يُعَاْنُوْنَ بَلْ مِمَّاْ يُعَاْنِيْهِ
أَلاْ يَمِلُّ السَّرَاْبُ الْغَمْرُ وَحْدَتَهُ ... أَلاْ يَحِنُّ إِلَى نُعْمَى تُنَدِّيْهِ
هَيْمَاْنُ لَهْفَاْنُ لاْ مَأْوَى لِوَحْشَتِهِ ... قَلْبِي الَّذِي وَسِعَ الأَكْوَاْنَ يُؤْوِيهِ
أَبْكِي لِبَلْوَاْهُ تَحْنَاْنَاً وَمَغْفِرَةً ... رُوحُ الأُلُوْهَةِ رُوحِي حِيْنَ أَبْكِيْهِ
إِذَاْ خُدِعْتُ فَقَدْ جَاْزَيْتُ خُدْعَتَهُ ... بِالْعُذْرِ أَبْسُطُهُ وَالذَّنْبَ أَطْوِيْهِ
أَدْعُو السَّرَاْبَ إِلَى رُوحِي فَقَدْ حَلِيَتْ ... بِهَا اللُّبَاْنَاْتُ تُرْضِيْهِ وَتُغْوِيْهِ
لَهْفِي عَلَيْهِ أَسِيْرَاً فِي يَدَيْ قَدَرٍ ... يُمِيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ ثُمَّ يُحْيِيْهِ
يَغِيْضُ قَبْلَ رَفِيْفِ الْجَفْنِ زَاْخِرَةً ... أَقَلْبُهُ جَفَّ أَمْ جَفَّتْ سَوَاْقِيْهِ
مَاْءٌ وَلاْ رِيَّ يَنْدَى فِي شَمَاْئِلِهِ ... كَأَنَّهُ الْقَوْلُ فَاْتَتْهُ مَعَاْنِيْهِ
يُزَوِّقُ الْحُسْنَ أَلْوَاْنَاً وَمَاْ عَصَفَتْ ... بِرُوحِهِ سَوْرَةٌ لِلْحُسْنِ تُصْبِيْهِ
هَذِي مَرَاْعِيْهِ عَطْلٌ مِنْ بَشَاْشَتِهَاْ ... حَنَّتْ لِشَبَّاْبَةِ الرَّاْعِي مَرَاْعِيْهِ
لَوْ صَعَّدَ الْقَصَبُ الْوَلْهَاْنُ زَفْرَتَهُ ... لَنَوَّرَتْ بِيْدُهُ وَاخْضَلَّ وَاْدِيْهِ
مَاْ لِلسَّرَاْبِ دَنَاْ حَتَّى إِذَاْ اكْتَحَلَتْ ... بِسِحْرِ دُنْيَاْهُ عَيْنِي شَطَّ دَاْنِيْهِ
أَنْتَ السَّرَاْبُ وَلَكِنِّي عَلَى ظَمَئِي ... بِأَنْهُرِ الْخَمْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ أَفْدِيْهِ
مَحَوْتُ مِنْ قَلْبِيَ الدُّنْيَاْ فَمَاْ سَلِمَتْ ... إِلاّ طُيُوْفُ هَوَاْنَاْ وَحْدَهَاْ فِيْهِ

مرثية مبكرة

قصيدة «سيذكرني»

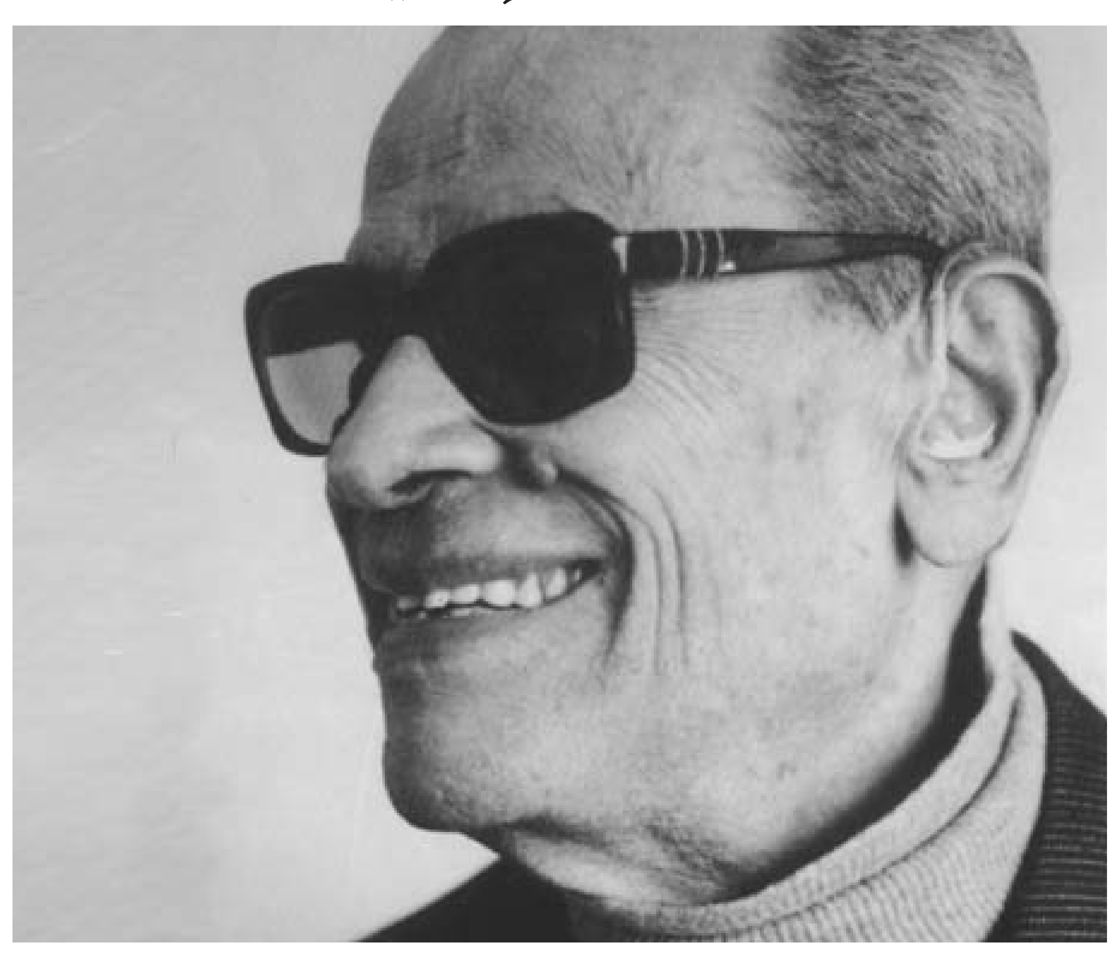
سَيَذْكُرُنِي بَعْدَ الْفِرَاْقِ أَحِبَّتِي ... وَيَبْقَى مِنَ الْمَرْءِ الأَحَاْدِيْثُ وَالذِّكْرُ
وَرَوْدُ الرُّبَى بَعْدَ الرَّبِيْعِ بَعِيْدَةٌ ... وَيُدْنِيْكَ مِنْهُ فِي قَوَاْرِيْرِهِ الْعِطْرُ





وداعاً نجيب محفوظ

رحيل نجيب محفوظ الهرم الإبداعي للرواية العربية



بيروت في 2006/08/31

يرثي «كتاب في جريدة» بكل هيئاته وصحفه وقارئيه عبر جميع أرجاء الوطن العربي، الأمة العربية برحيل الأديب العربي الأول الحائز على جائزة نوبل للآداب، الروائي الكبير نجيب محفوظ الذي وافاه الأجل يوم الأربعاء الموافق 30 أغسطس/آب لعام 2006 عن عمر يناهز الأربعة والتسعين عاماً.

ملأ الراحل الساحة الثقافية العربية بالأعمال الروائية الخالدة بحيث أمكن القول اليوم أنّ الرواية العربية قبل نجيب محفوظ ليست هي الرواية العربية بعده وكنتيجة لذلك الأدب العربيّ كلّه. فقد وصلت أعماله الروائية كتباً ومجلات وأفلاماً سينمائية وتلفزيونية إلى كل بيت عربيّ وانتقلت إلى لغات العالم العديدة لتحمل صوت الإبداع العربي بشكل لم يسبق له مثيل.

يشكّل رحيل نجيب محفوظ علامةً فارقة في حاضرتنا الثقافية فقد أسهم بكثافة وعمق في مواكبة التطورات والتحديات الفكرية والإجتماعية والسياسية التي واجهها العالم العربي معرّضاً أكثر من مرة حياته إلى الخطر حيث نجا بأعجوبة من طعنة نكراء في محاولة إغتيال.

أصدر «كتاب في جريدة» منذ عدده الثالث 1997 (أصداء السيرة الذاتية) للراحل الكبير الذي كان داعماً ومباركاً لمسيرة «كتاب في جريدة» منذ خطواته الأولى.

سيبقى أدب نجيب محفوظ رافداً لا ينضب في ثقافتنا وعلماً عربياً لا يغيب بين أعلام الأدب العالمي.

شوقي عبدالأمير،
«كتاب في جريدة»

تخرج مصر صباح اليوم عن بكرة أبيها، مواطنيها ومثقفيها، يودعون نجيب محفوظ (المولود العام 1911) رمزهم الأدبي الأكبر الذي تشاركهم في تقديره الأقطار العربية كلها، والمؤسسات والتجمعات الفكرية والإبداعية على امتداد العالم، وذلك منذ أن انتزع إبداع محفوظ، للمرة الأولى في تاريخ العرب المعاصر، جائزة نوبل التي كان حصوله عليها حدثاً تاريخياً نقل موقع الأدب العربي إلى صدارة المشهد الأدبي العالمي، وفتح الأبواب المغلقة أمام نقل الأعمال الأدبية، خصوصاً الرواية، إلى لغات العالم الحية. ومن يومها تشهد حركة الترجمة الأدبية، في محافلها الدولية، إقبالاً متزايداً على الترجمة من اللغة العربية للأعمال الروائية التي كتبتها أجيال متعددة، استمر حضورها الإبداعي وتواصل، بعد أن قبست النار المقدسة التي أشعلتها أعمال محفوظ على امتداد الأرض العربية...

وكان ذلك في مسيرة استثنائية رادها عقل فذ، قادر على أن يجمع الرؤى الكونية في رموز لا نهاية لثرائها، تبهر القراء بقدرتها على أن تجعل من «الحارة المصرية» تكثيفاً مصغراً للكون، بأسراره الفيزيقية والميتافيزيقية التي لم يتوقف نجيب محفوظ عن قرعها بالسؤال تلو السؤال.

وواصل نجيب محفوظ عمله الإبداعي في نزوع صوفي، يوحّد ما بينه والكتابة، ويجعله يغوص في المحلي المفرط في محليته، والخاص الذي تتجذر خصوصيته، ليصل إلى جوهر العرق الإنساني الذي يكمن في قرارة القرار من المحلي والخاص، مشيراً إلى الكون بالحارة، وإلى رحلة الإنسان لاكتشاف الحقيقة بسعي البطل الحائر الذي لا يكف عن بحثه كي يصل إلى «الأب» في الطريق أو في الحواري والأزقة، بحثاً عن «زعبلاوي» في القصة المسماة باسمه، محاولاً التوفيق بين تمرد «عرفه» (العلم) ومباركة «الجبلاوي»، في المحاولة التي سعت إلى تجاوز الثنائية الضدية بين العلم والدين، وذلك في حيز الحارة الذي يتحول إلى فضاء كوني. ومارس أبطال زالأحلامس، آخر ما كتب محفوظ، رغبتهم في التوفيق بين الأضداد، وعبور ذلك رمزياً إلى تشكيلات حلمية تجاوز الثنائيات الصارمة لحدود العقل المنطقي والواقع العملي في الوقت نفسه.

ولم يتخل محفوظ عن إيمانه العميق والقديم بأهمية الرواية في العصر الحديث، فكان مبشراً بزمنها الواعد، وصعودها الذي لا يزال متواصلاً. ولم يكن من المصادفة أن يدخل في مناظرة، خلال الأربعينات، مع العقاد، حول الشعر الذي تعصب له العقاد بوصفه فن العربية الأكبر مقاماً ورتبة، بينما رأى محفوظ أن الرواية هي شعر الدنيا الحديثة، والتعبير الأقدر عن زمنها القادم. هكذا، ظلت رواياته تتوالى مؤكدة قدرته الرائدة على تأسيس شعرية الدنيا الحديثة بكتابة الرواية التي لم يتوقف عن الإخلاص المطلق لسردياتها المتنوعة.

والنتيجة هي ما أصبحت عليه الرواية العربية، اليوم، بفضل ريادته وإصراره وقدرته على تغيير المجرى واللحمة والسداة، فأصبحت الرواية بالفعل شعرية الدنيا الحديثة التي تتنوع أشكالها إلى ما لا نهاية، ولا تترك شيئاً إلا وتناوشه بالسؤال الذي يبدأ بأن يضع الذات في مواجهة نفسها، والكون في مواجهة الأسئلة التي تسعى إلى فتح مغالقه.

ولذلك يخرج قارئ نجيب محفوظ حائراً بعد أن يقرأ روائعه، خصوصاً تلك التي تطرح من الأسئلة أكثر مما تقدم من أجوبة، فتفتح وعي القارئ على آفاق جديدة، مقترنة بإعادة النظر في كل ما حوله، غير مغفلة آلام وطموحات الإنسان الفرد، أو الطبقة، أو المجموعة الاجتماعية الممزقة بين ما هو أعلى وما هو أدنى، والوطن الحائر بين الثنائيات (العدل/الظلم، العلم/الدين، الحرية والعبودية)، والإنسانية التي يبحث مبدعوها عن المثل الأعلى الذي يحقق الأمن والسلام والعدل والتقدم، كأنه «سيد الرحيمي»، أو «الجبلاوي» الذي يظل – على رغم غيابه – موجوداً في كل الوجود، يحث – بدوره – على مواصلة السعي وراء المثل الأعلى الذي يبتعد كلما اقتربنا منه، وينأى كلما توهمنا الإمساك به.

هل كان طول عمر نجيب محفوظ (الذي تجاوز التسعين بسنوات) هو السبب في الثراء الكمي والكيفي المذهل لإبداعاته، والتنوع الموضوعي الذي لا نظير له لأعماله التي تجاوز الخمسين؟ حالة نجيب محفوظ الاستثنائية التي لا نظير لها، تجعلنا نقول: الفن يعطيك كله إذا أخلصت في إعطائه كلك، جاعلاً منه إبداع الدنيا الحديثة في تجددها الخلاّق الذي يسهم في نقل الإنسان من وهاد الضرورة إلى آفاق الحرية.

د جابر عصفور
رئيس المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة
جمهورية مصر العربية